اللغة تراث

•

قيل لكونفوشيوس ذات يوم : ماذا عساك صانع اذا وليت مقاليد الحكم في البلاد ؟ فأجاب ابدأ باصلاح اللغة !

ومثله «سيكويا» اشتدت وطأة البيض على قومه الحمر ، في امريكا ، فرأى ان بقاءهم رهن بتوحيد لغاتهم !

وكان ان خلّدت القارة القديمة ، ذلك الحكيم في نفوس الملايين • وحفظت امريكا اسم ذاك المصلح باطلاقه على اضخم اشجار القارة الجديدة •

وهكذا فان اللغة ليست حروفا وكلمات بقدر ما هي تراث قومي ، ومستوى فكري ، وسند حضاري ، وكينونة حياتية !

ومن هنا كان المعنى الذي اراده زهير بقوله المشهور : « لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده ! » معنى عميقا رائعا • ومن هنا استجاز الشافعي ان يمد رجليه ، مذ نطق زائره باولى كلماته •

وهذه اللغة لغتنا بالذات ، لم تكن في حين من الدهر احوج الى الاصلاح منها اليه اليوم • وهو في رأيي اصلاحان ، لا غنى لنا ولها عنهما : اصلاح في المنقول ، واصلاح في المقول •

أما الاصلاح الاول فمهما اختلفنا فيه ، وفي وسائله ، فلا يعدو ان يكون تيسيرا للطباعة ، وتبسيطا للكتابة ، ومرونة في القواعد ، جميع القواعد ، برغم ان لغتنا في اوضاعها الراهنة هي من اسهل لغات العالم ، واقربها الى المنطق •

فحرصنا على ان لا نستبدل باشيائها شيئا آخر ، يوازي حرصنا على تطوير تلك الاشياء تطويرا ايجابيا مستمرا •

ويبقى الاصلاح الثاني ، فهو مما لا سبيل الى اغفاله بعد اليوم • اذ لا حياة لامة يتكلم شعب منها بلهجة لا يفهمها شعب آخر • بل لا حياة لشعب يتكلم « حي » منه بلهجة لا تفهمها « الاحياء » الاخرى •

اننا ، في بلاد « العربية » ، من اقاصي الغرب حتى اداني الشرق ، بحاجة الى كونفوشيوس جديد ان لم نقل الى سيكويا •• آخر • وذلك لا كي يستبدل لنا حروفا بحروف، او كلمات بكلمات ، بل كي يخلق في هذه الشعوب حركة صاعدة ، تستقر على السنتهم فتقومها ، ثم تقوّم النصف الاخر الذي ذكره الشاعر الحكيم •

اللغة تراث لا قيمة له اذا لم يتبلور على الالسنة الناطقة وفي الافئدة الواعية •

وفي هذا الاصلاح بالذات سبيل الخلاص ، لانه سبيل التفاهم بين شعوبنا ، وسبيل التعاون •

بل ان فيه وحده سبيل الحياة !

رشاد دارغوث

العتبة الباردة

○

اخشى لِقاها يا ضلالَ السنينْ

اخشاهُ أنْ ينثرا

حُبّي وحلوَ الحنين

اخشاك قلبي تُرَى

لو خذلَتنا الوعودْ ؟

يا هولَ ما اخشى ، ولونَ الصدودْ ،

بل طيفَهُ الاغبرُ

يطوفُ بي مستغرباً منكِرا

فما تَهشُّ القُرى

والدربُ لا تذكرُ

والعَتَبةُ البارده

في صمتها تسخرُ

من عودتي ، مني ، من الواعده !

* * *

مالي اروِدُ التلَّ ، والمنحنى

اني غريبٌ هنا

فالعاصفُ المظلمُ

َمحا ، وشادَ الهولَ مستكبرا ،

يا ملعبي ما زلتُ خدنَ السرى

وغربةُ الافاقِ بي ارحم

خليل حاوي

حقيقة المكان والزمان

بقلم محمد فرحات عمر

تعد مشكلة المكان والزمان من اهم المشاكل الفلسفية طرا ، وهذا [illegible] كل رجل مطلع على تاريخ الفلسفة مستوعب [illegible]اقف على مراحل تطورها، عالم بمراميها وغاياتها [illegible] انه لو ارخنا لهذه المشكلة ، فلا مندوحة لنا من ان نبدا حيث بدات الفلسفة اليونانية بالمدرسة الايونية لننتهي عند اينشتين ومعاصريه ، من انصار النسبية والمعترضين عليها . حقيقة اننا نجد عند الايونيين وغيرهم مجرد تلميحات لا تكاد تنهض بدلالات المشكلة ، ولكن لا بأس فهكذا دائما تكون بداية المعضلات عند عتبة البحث . على ان المشكلة اخذت تسلك طريق النمو والتطور لتصل في النهاية الى اعقد صور المعادلات الرياضية العليا . واذا كان قد قدر لمشكلة من المشكلات ان تختلف عليها الاراء كل الاختلاف ، وتتباين اشد التباين ، بحيث يستحيل علينا ان نوائم بين اطرافها ، فان هذه المشكلة — بحق — هي مشكلة المكان والزمان . ومع ذلك فان كل رأي فيها على حدة يكاد يكون صحيحا لا غبار عليه . وانما يتأتى الخطأ حينما يكتفى به دون غيره من الاراء . ان النظرة الواحدة في ذاتها سليمة بيد انها لن تكشف عن جميع جوانب الحقيقة ، وانما ينزلق الناس الى التخبط والخلط ، حينما يقتصرون عليها ، ويتوهمون انها كفيلة بان تحيط بالغرض والمقصود وتنهض بجميع دلالاته .

قد يقول ارسطو بان المكان هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوي . وقد يرفض الرواقيون هذا التعريف ويذهبون الى انه عبارة عن فراغ متوهم تشغله الاجسام وتنفذ فيه ابعادها . وقد يزعم اقليدس بان المكان مسطح ، على حين يرى ديمان بانه دائري ، بينما يابى لوبو شافسكي الا ان يقول بكرويته . وقد يصور « كانت » المكان والزمان تصويرا مثاليا ، وقد ينكر عليه اصحاب النزعات العملية هذا الاتجاه . وقد ينادي المعلم الاول بان الزمان مجرد مقولة كسائر المقولات التي تقال على الجوهر ، بينما يصرح برجسون بان الزمان الحقيقي هو الجوهر الخالد الذي تجري عليه الاعراض . وقد يظن القدماء ان الزمان والمكان حقيقتان ، كل واحدة لها وجودها بمعزل عن الاخرى ، او هي تستقل بكيانها عن زميلتها . وقد يتوهم بعضهم بان الزمان مطلق ، وان المكان غير متناه ، ومع ذلك كله يجيء زعماء النسبية بعد ذلك ليقرروا نسبية المكان والزمان ، بل واندماجهما في حقيقة واحدة هي المتصل . وفي ذلك يقول منكوتسكي قوله المأثور في محاضرته التي القاها بمدينة « كولونيا » في سبتمبر سنة ١٩٠٨ وهو : « ان المكان بذاته . وكذلك الزمان بذاته ، سيتحول كل منهما منذ اليوم الى ظل زائل . وانما يبقى الوجود المستقل لنوع من الائتلاف بينهما . »

يروى عن انكسمندريس انه يمد الوجود الى غير حد في المكان وفي الزمان ، فيقول بعوامل لا تحصى ، وبدور عام يتكرر الى ما لا نهاية . اما هرقليطس فلم يعرض لمشكلة الزمان صراحة ، بل اكتفى بان تكلم عن الحركة والتغير ، فقال بأن الاشياء في تغير مستمر . فانت لا تنزل النهر الواحد مرتين ، فان مياها جديدة تجري من حولك ابدا . ولولا التغير لم يكن ثمة شيء ، فان الاستقرار موت وعدم . اما الفيثاغوريون فيبدوا انهم تصوروا المكان كتصورهم للوجود جملة ، فقد قالوا بان مبادىء الاعداد هي عناصر الوجود ، او ان الموجودات اعداد وان العالم عدد ونغم ، وهكذا صوروا الوجود تصويرا رياضيا خالصا . ووحدوا بين الحساب والهندسة ، فمددوا في المكان ما لا امتداد له او على الاصح سلبوا المكان عن كل ممتد ، وبذلك لم يفرقوا بين الكمية المنفصلة والكمية المتصلة . وهذه الاراء نفسها — بلا زيادة ولا نقصان — رددها العالمان جيمس جينز وادنجتون في مطلع القرن العشرين ، فقد ارجعوا المادة الى مجرد معادلات رياضية ، والعالم الى محض افكار في عقل الله .

وعصر المدرسة الايليه يعتبر بحق العصر الذهبي لهذه المشكلة ، اذ نرى بارمنيدس يذهب الى ان العالم ملاء ، اما الخلاء فلا وجود له الا في الاوهام . وهو يقول بقدم الزمان وابديته ، الا انه لم يعطنا فكرة واضحة عن ماهية الزمان، خصوصا عندما عاد فانكر الحركة ، استمع اليه يقول ما معناه :

« لما كان الوجود موجودا فهو قديم بالضرورة ، اذ يمتنع ان يحدث من اللاوجود ، ويمتنع ان يرجح حدوثه مرجح في وقت دون اخر ، فليس للوجود ماض ولا مستقبل ولكنه في حاضر لا يزول ، وعلى ذلك يمتنع الكون ولايتصور الفساد وينتفي التغير ، والوجود والواحد متكافئان ، فيلزم ان الوجود واحد فقط ، متجانس مملوء كله وجودا ، ويلزم انه ثابت ساكن في حدوده مقيم كله في نفسه اذ ليس خارج الوجود ما منه متحرك ، وما اليه يسير . »

وعندنا ان انكار الحركة والتغير ، واستبعاد فكرة الماضي والمستقبل والقول بحاضر لا يزول ، وثبات لا يريم على نحو ما ذهب بارمنيدس هو اطاحة كاملة بفكرة الزمان، واجهاز شامل على مضمون التواقت . وقد تبع بارمنيدس

تلميذه زينون الايلي ، فنصب نفسه للدفاع عن مذهب استاذه في الوحدة والثبات ، واقام حججه التاريخية المشهورة على امتناع الكثرة واستحالة الحركة . ولقد ذهب مليسوس مذهب زينون واستاذه فقال بان الوجود لامتناه ، وانه واحد لان الواحدية سمة من سمات اللامتناهي والوجود ساكن من حيث انه لا يوجد مكان خارجه يتحرك اليه . وعلى ذلك فلا خلاء ولا حركة ولا زمان ، وانما ثبات سرمدي وملاء لا حدود له ولا نهاية .

وظهر بعدهم فيلسوف يقال له ديموقراطيس قال بالحركة والخلاء خلافا لهم . والخلاء عنده له مقدار وشكل وليس عدما ولكنه امتداد متصل متجانس يفترق عن الملاء بخلوه من الجسم والمقاومة . ولقد ايده في هذا لو قيبوس فقرر بانه لولا الخلاء لما تمايزت الجواهر ولما كانت الكثرة ، ولامتنعت الحركة وان القول بالحركة والكثرة يقتضي حتما القول بالخلاء واعتباره مبدأ حقيقيا الى جانب الملاء . (١)

افلاطون

ان كان الاقدمون قد اعتقدوا ان الزمان قديم فقد جعله افلاطون حادثا ، اذ قال انه وجد مع السماء ، والسماء حادثة ، فهو حادث بالضرورة . وبيان ذلك عند افلاطون ان الصانع راى ان خير مقياس للزمان حركات الكواكب ، فاخذ نارا ووضع الشمس والقمر والكواكب الاخرى مشتعلة مستديرة وجعل لكل منها نفسا تحركه وتدبره . وواضح ان افلاطون يوحد بهذا بين الزمان والحركة الفلكية ، بيد انه لم يفصل القول فيما اذا كان تلازم كل منها للاخر هو على سبيل التقارن او على سبيل التعاقب . اما راي فيلسوفنا عن المكان فليس واضحا تماما ، وهو يخلط بينه وبين المادة الاولى للاشياء : فهو المحل الذي تحصل فيه الصور المعينة او هو موضوع التغير . (٢)

ارسطو

المكان نوعان : مكان مشترك يوجد فيه جسمان او اكثر ، ومكان خاص يوجد فيه كل جسم اولا . وهو على التحديد « سطح الجسم الحاوي ، اي الباطن المماس المحوي » . ويلزم مما تقدم ـ في راي ارسطو ـ ان للمكان طولا وعرضا وليس له من عمق لانه سطح . ويلزم ايضا ان الجسم يقال انه في مكان متى وجد جسم يحويه ، اما اذا لم يوجد ، لم يكن في مكان الا بالقوة . وينكر ارسطو ضرورة الخلاء . لان الاحتجاج بالنقلة مردود اذ ان الاجسام يمكن ان يحل بعضها محل بعضها الاخر دون حاجة الى فرض الخلاء ، كما يدفع الماء بعضه بعضا حين يلقى فيه حجر ، وقريب من هذا الاحتجاج بالتكاثف الطبيعي ونمو الكائن الحي الخ .

بيد انه فات ارسطو ان عملية الدفع هذه التي يشير اليها لا تحل المشكلة ؛ لانها اما ان تستمر الى غير نهاية او ان تقف الى نهاية معلومة ، فان كانت تستمر الى غير نهاية فالنقلة مرتفعة وهو خلف ، وان كانت متناهية ، فقد لزم الخلاء . اما الزمان عند ارسطو فيبدو انه غير موجود ، او ليس له سوى وجود ناقص غامض : لان الماضي فات ، والمستقبل غيب ، والحاضر في تقض مستمر ، ولا تكاد تمسك به حتى يفلت من بين يديك . وهذا التقضي يوحي الى الفكر بان الزمان حركة . ولكن الحركة خاصية المتحرك غير منفكة عنه ، والزمان مشترك بين الحركات جميعا ؛ ثم ان الحركة سريعة او بطيئة ، والزمان راتب ليس له سرعة . على ان الزمان ان لم يكن حركة فهو يقوم بها ؛ ونحن حينما لا تتغير حالتنا النفسية او حينما لا ندرك تغيرها ، لا يبدو لنا ان زملنا قد تقضى . اذن بين الزمان والحركة علاقة ، والواقع ان الزمان متصل لانه مشغول بحركة متصلة ؛ والحركة متصلة لانها في مكان متصل ؛ فالمكان هو المتصل الاول

ثم انا نجد في الزمان متقدما ومتاخرا لانا نجدهما في الحركة ، ولما كانت الحركة في المكان فهما يقالان بالاضافة الى المكان اولا ، والى الحركة ثانيا والى الزمان ثالثا . وعلى ذلك يحد الزمان بانه (عدد الحركة بحسب المتقدم والمتاخر) ؛ اي انه يقوم في مراحل متميزة بعضها عن بعض بحصولها بعضها تلو بعضها ، ومن ثمة معدودة ، ولما كانت النفس الناطقة هي التي تعد ، فيمكن القول بانه لولا النفس لما وجد زمان ، بل وجد فقط اصل الزمان وهو الحركة دون ان تكون معدودة . واذن فاعتبار الزمان كلا مؤلفا من ماض ومستقبل هو من النفس . اما ماهيته فقائمة في الان يتجرد باستمرار تبعا لاستمرار الحركة ، فالزمان متصل بواسطة الان ومقسم بحسبه بالقوة ، اي ان الان يصل الماضي بالمستقبل ، فاذا قسمنا الزمان بالوهم كان الان بداية ونهاية كل جزء . ويلزم من تعلق الزمان بالحركة ان الموجودات الدائمة ليست في الزمان لانها ليست متحركة ، وليس الوجود في الزمان مرادفا للوجود مع الزمان (٣) .

الرواقيون

كان ارسطو قد عرف المكان بانه « هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوى » وبناء على هذا التعريف يصبح المكان بالنسبة لسائل من السوائل عبارة عن الجدران الداخلية للوعاء الذي يحوي ذلك السائل . ولكن الرواقيين انكروا على ارسطو هذا التعريف ؛ لانه يعطي المكان وجودا مستقلا عن الاشياء التي تتميز فيه . لذلك ذهبوا الى ان المكان فراغ متوهم تشغله الاجسام وتنفذ فيه ابعادها . وعلى ذلك فالمكان عندهم ليس له وجود في ذاته ، بل وجوده باعتبار الجسم . وليس في العالم خلاء وانما الخلاء خارج هذا العالم في نطاق لا نهائي . وسبب انكار الرواقيين للخلاء ظاهر غير خفي : فما دام الخلاء هو غياب الجسم ، وما دام لا وجود عندهم الا للجسم

---

(١) الاستاذ يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، الطبعة الثالثة ، ص ١٤ الى ص ٣٤ .

راجع الدكتور فؤاد الاهواني : فجر الفلسفة اليونانية . والدكتور عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني .

(2) A. E. Taylor ; Plato the man and his work ; London, 1952 ; P. 446.

راجع ايضا ؛ للاستاذ يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية : وللدكتور عبد الرحمن بدوي : افلاطون .

(3) W. D. Ross : Aristotle ; London 1953 ; P. 81 — P. 82.

راجع ايضا ؛ للاستاذ يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية : وللدكتور عبد الرحمن بدوي : ارسطو .

فالخلاء غير موجود .

على ان الرواقيين لم يكونوا بحاجة الى القول بالخلاء داخل العالم ؛ لان تداخل المادة يكفي لجعل الحركة ممكنة . بيد انهم تورطوا بعد ذلك في فرض يناقض نظريتهم في الاجسام . فقد ظنوا ان الخلاء الذي ليس بشيء هو على الرغم من هذا موجود ، وقالوا بان هناك خلاء لا متناهيا خارج العالم ، فالقول من ناحية بان الخلاء انما هو معنى وتصور ، ثم القول من ناحية اخرى بانه موجود ينطوي على تناقض (ومخالفة لمذهبهم في المادية) .

اما الزمان في راي الرواقيين فهو احد اللاجسميات واذن فالزمان ليس له وجود بذاته وانما وجوده في حركة الجسم . فوجوده اعتباري . والزمان عندهم هو الامتداد او المسافة التي تفصل بداية مدة من مدد العالم عن نهايتها. ولما كان الرواقيون يقولون بقدم العالم فانهم يقولون ضرورة بان الزمان لا متناه سواء من جهة الماضي او من جهة المستقبل . (١) اذن فالرواقيون يعلقون الزمان على الحركة كما ذهب ارسطو تماما، و يعتبرونه من اللاجسيمات وهو قريب من قول ارسطو في ان الزمان يبدو كانه شيء غير موجود او ذو وجود غامض ناقص .

فلاسفة ومفكرو القرون الوسطى

اما فلاسفة االقرون الوسطى من المدرسيين فلم يخرجوا عما رسمه ارسطو بشأن المكان والزمان . وخلافا لهم قام المتكلمون في الفكر الاسلامي ليسفهوا راي ارسطو ولينتصروا لمذهب الرواقيين (٢) فالحيز عندهم هو (الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه ابعاده) ، وهذا هو عين التعريف الذي صرح به الرواقيون ؛ وهو يختلف عما قال به ارسطو من ان المكان هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوى . وبما ان الرواقيين يرون ان جسمين يمكن ان يشغلا حيزا واحدا ، وذلك هو معنى التداخل فلا وجه للكلام عندهم عن الحاوي ولا عن المحوى : فانهما ليختلطان من جميع اجزائهما ، ويصبح حيز احدهما هو حيز الاخر ، واذن فالمكان عند الرواقيين ليس بجسم وهو كذلك عند المتكلمين لانه « فراغ متوهم » .

وكذلك الزمان عند المتكلمين « امر موهوم لا وجود له في الاعيان فهو ليس في العالم » ونحن نعلم ان هذا هو الراي الذي ينسبه « بلوطرخوس » الى الرواقيين : فان الزمان الذي نتوهمه بالفكر حاضرا هو بعضه مستقبل وبعضه ماض ، فالزمان لا يتحقق بالفعل ابدا وهو اذن غير موجود ، ويترتب على ذلك ان سلسلة الحوادث التي تمتد في الزمان لا تخضع له ولا تتاثر به مطلقا بل الحوادث خاضعة لقوانين القدر التي لا تعرف مستقبلا ولا ماضيا لانها صادقة ابدا .

اما بالنسبة للفلسفة الحديثة والمعاصرة ، فنحن نجد ان دراسة هذه المشكلة جاءت متاخرة تماما ، فحتى عصر « كانت » Kant لم يكن ليخطر على بال الفيلسوف ان يتناولها بالدرس والتمحيص .

(١) الدكتور عثمان امين : الفلسفة الرواقية ، القاهرة سنة ١٩٤٥ م ، ص ٢٣٧ الى ص ٢٣٨

(٢) نفس المرجع السابق .

كانت

يرى « كانت » ان قوانا الفكرية ثلاث : القوة الاولى هي الحساسية Sensibility والقوة الثانية هي الفهم Understanding والقوة الثالثة هي العقل Reason . والمكان والزمان عند « كانت » ليسا من معطيات الحس Sensation كاللون والصلابة الخ. وانما هما صورتان من معطيات احدى قوى الذهن Mind واعني بها الحساسية الترنسندنتالية . فهذه الاخيرة تخلعهما على مدركات الحس فترتبها في علاقات احياز في المكان وتقارن وتعاقب في الزمان . والمكان صورة اولانية ترجع الى قوة الحساسية الخارجية . والزمان صورة اولانية ترجع الى قوة الحساسية الباطنية (٣) .

يقول « كانت » : « ان معرفتنا في اي شكل من اشكالها وباية طريقة من طرائقها تتعلق بالاشياء ابدا . ومن الواضح تماما ان الاسلوب الوحيد في هذا الصدد هوالحدس Intuition الذي يعد الاساس الضروري لكل بناءفكري(٤) ويأخذ الحدس مجراه عند ادراكنا للاشياء . فبالنسبة للانسان على الاقل ، من الممكن ان نقول ان الاشياء تسيطر على عقله بطريقة خاصة . [فبواسطة الحساسة وبفضل الفهم الذي تصدر عنه التصورات Conceptions يمكن للحدوس ان تقوم بوظائفها] . وهذا الضرب من الحدس يسمى الحدس الحسي . والظواهر هي موضوع الحدوس الحسية ؛ ويتحدد مضمونها في علاقات يطلق عليها اسم الصورة Form . والتصورات هي التي تنظم الاحاسيس، بل ان مجرد الاحساس نفسه متوقف عليها ؛ فالاحساس من المعطيات الاخرانية A posteriori على حين يظل التصور اولانيا في الذهن وبمعزل عن الحس .

واني لزعيم بان جميع التمثلات خالصة ؛ بالمعنى الترنسندنتالي للكلمة ، ونظرا لان ما يوجد بالذهن هو اولاني على الدوام ، فان الصورة الخالصة للحدس الحسي انما تحدد مضمون العالم الخارجي في علاقات معينة . والصورة الخالصة للحساسية ساطلق عليها اسم الحدس الخالص . ومن ثم فاذا انتزعنا من تمثلاتنا تصورات الفهم كالجوهر والقوة الخ وكذلك ما يتصل بالحس كالشكل واللون الخ. فيظل ثمة شيء فيما يتعلق بالحدس الحسي وهو الامتداد والشكل ؛ وهذان يتعلقان بالحدس الخالص الحاضر في الذهن حضورا اولانيا كصورة للحساسية المحضة ، لا كموضوع حقيقي للحواس والاحساس . وان علم مبادىء الحساسية الاولانية هو على التحديد الاستاتيكا الترنسندنتالية . وهذا العلم يكون الجزء الاول من المذهب الترنسندنتالي للمبادىء . وهذا الجزء يتميز عن الجزء الثاني الخاص بمبادىء الفكر الخالص ، والذي يسمى بالمنطق الترنسندنتالي . وفي علم الاستاتيكا الترنسندنتالية سنعزل الحساسية عما اضيف اليها من آثار تصورات الفهم ، حتى لا يبقى امامنا سوى الحدس التجريبي . وسنتجنب بعد ذلك كل ما يتصل بالحساسية مقتصرين على الحدس الخالص والصورة المحضة الظاهرة ؛ وفي هذا

(3) Archie J. Bahm : Philosophy an introduction New York 1953, P. 79.

(٤) الحدس عند « كانت » هنا هو الادراك الحسي .

البحث ان ثمة صورتين خالصتين للحدس الحسي ؛ هما من مبادىء المعرفة الاولانية واعني بهما المكان والزمان Space and time وعلى هذا الاعتبار سنتناول البحث .» (1)

الفصل الاول : المكان : العرض الميتافيزيقي للمكان

تعودنا ان نتمثل داخل انفسنا الاشياء وقد تحيزت في المكان بواسطة الحاسة الخارجية الخاصة بالذهن ؛ الاشياء بابعادها واشكالها وعلاقاتها بعضها ببعض سواء كانت العلاقات محدودة ام غير محدودة . اما الحاسة الداخلية ، فبواسطتها سيتمكن الذهن من ان يمضي في تفكيره حول ذاته وفي اطاره الداخلي ، وهو لن يعطينا بذلك حدسا ، ولكن سيعطينا صورة محدودة على ضوئها يمكن قيام التفكير الترنسندنتالي . وكل ما يتعلق بالتحديدات الداخلية للذهن ، انما نتمثلها بعلاقات الزمان . وكما اننا لا نستطيع ان نقف على الحدس الخارجي بواسطة الزمان ؛ فاننا لا نستطيع كذلك ان نقف على الحدس الداخلي بواسطة المكان . اذن فما هو الزمان وما هو المكان ؟ هل هي موجودات حقيقية ؟ ام هما علاقتان من قبيل الحدود التي تفرضها الاشياء ؟ ام هما مساويان على التمام لما نسميه بالاشياء في ذواتها ؟ ومهما يكن من شيء فهما ليسا من موضوعات الحدس وانماهما يتعلقان بصورة الحدس وبالوضع الذاتي للذهن على الدوام وبدونهما يستحيل ادراك الاشياء . ولكي نلم بالمسالة الماما تاما ، سنعرض اولا لفكرة المكان . وسنتوخى الايضاح مع الايجاز فيما يتصل بالتمثلات الصورية ، كما سيكون العرض ميتافيزيقيا حينما ينطوي على تصورات اولانية :

١ ـ المكان ليس تصورا منتزعا من التجربة الخارجية لانه قد ترتبط احساسات معينة ببعض الاشياء [وهذه الاشياء تشغل اجزاء مختلفة عن المكان الذي انا فيه] على نحو ما ، فلكي اتمثلها في نفسي وبعضها الى جانب بعض او بعضها بمعزل عن بعض ، لا بد من تمثل المكان . ولا يمكن ان نستمد تمثلنا للمكان من العلاقات الخارجية للظواهر خلال التجربة بل العكس هو الصحيح اننا لن نتمثل التجربة الخارجية الا من خلال تمثلنا للمكان .

٢ ـ المكان فكرة اولانية بالضرورة وهي اساس كل الحدوس الخارجية ، فنحن لا نستطيع ان نتصور او نتمثل في انفسنا عدم وجود المكان ، على حين يمكننا بسهولة ان نطرد من اذهاننا الاشياء المتحيزة فيه . ويجب لهذا ان نعد المكان شرطا لا مكان الظواهر وبيان حدودها . ويجب لهذا ان نعد المكان تمثلا اولانيا كاساس ضروري لتفهم الظواهر الخارجية .

٣ ـ المكان ليس في المعاني الكلية المستخلصة من التجربة ، او على حد تعبيرنا ليس تصورا عاما للعلاقات التي بين الاشياء بل هو حدس خالص Pure intuition فنحن نتمثل مكانا واحدا وعندما نتكلم عن اجزائه فلا نعني الا اجزاء هذا المكان الواحد نفسه . زد على ذلك ان هذه الاجزاء ليست سابقة على هذا المكان الواحد ، كالاجزاء عند جمعها وتعميمها . فالمكان واحد بالضرورة ، مع ان الكثرة فيه . اما المعنى االكلي للمكان او الفكرة المجردة التي تعبر عن هذا المكان او ذاك فتتبدى فيها فكرة الحدود . وفضلا عن هذا كله فان مبادىء الهندسة كقولك مثلا ان مجموع طولي اي ضلعين في مثلث يفوق طول الضلع الثالث ، هي مبادىء لم تستخلص من التصورات العامة للخط والمثلث والزاوية ، ولكنها مبادىء حدسية اولانية بالضرورة .

٤ ـ اننا نتمثل المكان ككمية غير متناهية . ومن ثم فكل تصور يجب في الحقيقة ان يتضمن عددا لا نهائيا من التمثلات المختلفة الممكنة ، ولكن لا يوجد تصور يمكن ان يتصور كما لو كان منطويا على تمثلات لا نهاية لها . ولا نستطيع ان نتصور المكان وقد ادرجنا في طياته اجزاء لا متناهية . ومن ثم فالتمثل الحقيقي للمكان حدسي اولاني وليس تصورا .

« العرض الترنسندنتالي للمكان : اقصد بهذا العرض الترنسندنتالي ان اشرح التصور كمبدأ للمعرفة التركيبية الاولانية . والمعارف التركيبية الاولانية تستخلص من معطيات التصوير اولا ، ثم هي لا تمكن الا تحت ضوء افتراض سابق . فالهندسة علم يهدف الى تحديد خصائص المكان على النحو التركيبي وعلى النحو الاولاني . فما هو اذن تمثلنا للمكان حتى تصير فكرته في باب الامكان ؟ ؟ ينبغي لفكرة المكان ان تكون حدسا خالصا ، لانه لا يمكننا ان نستنبط من التصور الخالص قضايا تتعلق بما وراء التصور ، وهذا هو ما يحدث في الهندسة . ولكن هذا الحدس يجب ان يوجد في الذهن وجودا اولانيا ، فهو حدس ، وحدس خالص ، سابق على كل احساس بالاشياء فبالنسبة لمبادىء الهندسة فاننا نجدها اولانية ابدا بل وضرورية مثال ذلك ان نقول : « المكان له ثلاثة ابعاد » : فمثل هذا النوع من القضايا لا يمكن ان يكون تجريبيا او مستخلصا من التجربة . والان فكيف يمكن ان يكون الحدس الخارجي السابق على الموضوعات ذاتها ، والذي فيه يكون تصورنا للموضوعات اولانيا ، في الذهن الانساني ؟ ؟ من الواضح انه موجود في الذات فقط ، وعندما يحصل التمثل يكون هذا الحدس الخالص قالبا للحدس الخارجي . بعد هذا الشرح اصبح واضحا لدينا ان الهندسة علم تركيبي اولاني .

نتائج مستخلصة

١ ـ نحن لا نتمثل المكان من حيث انه خاصية للاشياء في ذواتها . ولا نتمثله في علاقات الاشياء بعضها ببعض ؛ وبعبارة اخرى نحن لا نتمثل المكان بالحدود التي تتاخم الاشياء خصوصا اذا كانت من حيث هي في ذواتها ؛ بل نتمثله مجردا منها ، فان حدود الاشياء لا يمكن ان تدرك قبل الاشياء نفسها ، ومن ثم فهي ليست اولانية .

ب ـ ليس المكان سوى صورة لجميع ظواهر الحس الخارجي ، فهو الشرط الذاتي للحساسية ؛ اذ لا يمكن الحدس الخارجي الا به . والان لما كانت القدرة الذاتية التي تنطبع فيها الاشياء حاصلة بالضرورة على جميع حدوس هذه الاشياء ، فانه اصبح من المعروف كيف تحصل لها في الذهن صور الظواهر قبل الخوض في العمليات الحسية ، ولهذا فالصور اولانية ، وهي كحدوس خالصة يجب ان تنظم جميع الاشياء ، تتضمن العلاقات التي ترتبط بها الاشياء . ولهذا فاذا ابتدانا من الشرط الذاتي الذي به نستطيع ان نحقق الحدس الخارجي ، او بعبارة اخرى

---

(1) Immanuel Kant : Critique of pure reason, I. By F. Meiklejohn, London 1950. P. 41 — P. 42.

بواسطته يصبح في وسعنا ان ندرك الاشياء ، فسنجد ان تمثلنا للمكان ليس له معنى اكثر من ذلك . ومقولة [المكان] لا تقال على الاشياء الا كما تتبدى لنا في موضوعات الحس . فصورة الحساسية شرط ضروري لجميع العلاقات التي من خلالها يتم لنا ادراك الاشياء كموجودات خارجة عنا ، وعندما تأخذ عملية تجريد هذه الاشياء مجراها ، يصبح للحدس الخالص الذي نسميه المكان دور كبير . ومن الواضح ان الشروط الخاصة بالحساسية لن تصير في يوم من الايام شروحا لا مكان وجود الاشياء الا من حيث هي ظواهر .

وقد نصيب حين نقول ان المكان يحيط بكل ما يتبدى لنا في الخارج ، ولكن لا يوجد شيء من الاشياء من شانه ان يعتبر من حيث هو في ذاته ، وذلك لان عملية الحدس الحسي لا تتم الا في محيط الاطار الذاتي . وبالنسبة الى الحدوس التي تحصل للكائنات المفكرة الاخرى ، ليس في مقدورنا ان نحكم اذا كانت هذه الحدوس مرتبطة بنفس الشروط التي تقوم عليها حدوسنا ، والتي تبدو لنا متماسكة على التمام . فاذا قمنا بعملية ربط بين حكم من الاحكام وبين تصور ذاتي ، فان الحكم سينطوي على تماسك غير مشروط .

فمثلا القضية «كل الاشياء يوجد بعضها الى جانب بعض» متماسكة بفضل هذا التحديد للاشياء كموضوعات للحدس الحسي . ولكن اذا ربطنا بين الشرط والتصور وقلنا : « كل الاشياء كظواهر خارجية يوجد بعضها الى جانب بعض في المكان » . ستكون القاعدة متماسكة وعامة بدون استثناء . لهذا فنحن نعنى بالحقيقة التجريبية للمكان كما هي في حدود الامكان ، وعلى الرغم من انه ينبغي ان نقبل التصور الترنسندنتالي [الاولاني] للمكان ما دمنا نقبل الشرط الذي تقوم عليه كل تجربة ممكنة ، وننظر للمكان كشيء يتعلق بالاشياء في ذواتها — ولكن باستثناء المكان ، فانه لا يوجد تمثل ذاتي ويشير في نفس الوقت الى شيء خارج عنا ، يمكن ان يوصف بانه موضوعي اولاني Objective à priori لانه لا توجد تمثلات ذاتية اخرى نستطيع ان نستنبط منها قضايا تركيبية اولانية ، كما هو الحال بالنسبة للمكان.

لهذا فلكي نتكلم بدقة ، نقول انه لن يكون ثمة تصور يتعلق بهذه الامور على الرغم من انه يتفق وتمثلنا للمكان في هذا المقام ، اذ انه يتصل بالطبيعة الذاتية الخاصة بالاحساس . ومثل ذلك تماما البصر والسمع الخ ؛ فانها مجرد احساسات وليست حدوسا لانها لا تعطينا من نفسها فكرة عن اي شيء . وغرضي من الاشارة السابقة ان نحمي انفسنا من التصور التزمتي للمكان الذي لا يفي بالغرض تماما ، فلا يجب ان نعد اللون والطعم وما اليهما من خصائص الاشياء بل نعدها مجرد عوارض تعرض للذات ، وتختلف من انسان لاخر . لانه في مثل هذه الحالة اذا تناولنا ظاهرة كالوردة مثلا ، وحاولنا ان ننظر اليها من زاوية الفهم التجريبي للشيء في ذاته ، فان لونها سيبدو مختلفا بالنسبة للناظرين . وعلى العكس فان التصور الترنسندنتالي لظاهرة المكان ينطوي على نوع من التخدير النقدي فان أي شيء يتناوله الادراك في محيط المكان لن يكون من حيث هو في ذاته ، وان المكان كصورة لن يتعلق بالاشياء بحسبانه خاصية من خواصها ، فان الاشياء لن تتبدى لنا كما هي في ذواتها. وما نسميه بالاشياء ليس سوى تمثلات الحساسية التي صورتها المكان . اما علاقاتها الحقيقية (من حيث هي في ذواتها) فلا يمكن الوقوف عليها عن طريق هذه التمثلات او عن طريق غيرها ، ولكن علينا ان نحترم ما في التجربة دون ان نجترىء على تفسيره .» (1)

الفصل الثاني : الزمان : العرض الميتافيزيقي للزمان

ا — الزمان ليس تصورا تجريبيا . لانه لن يمكننا ان نتحسس الموجودات في تعاقبها الا اذا كان ثمة اساس اولاني هو تمثلنا للزمان . فبدون هذا الافتراض لا نستطيع البتة ان نتمثل لانفسنا الاشياء في تقارنها وتعاقبها .

ب — الزمان تمثل يوجد وراء جميع الحدوس ، وهو اساس لها . وليس في مقدورنا ان نتصور الظواهر بمعزل عن الزمان ؛ بل نحن مضطرون اليها من خلاله . لهذا فالزمان من المعطيات الاولية ، وبه تمكن الظواهر . من الممكن ان نطرد من اذهاننا هذه الظواهر ، اما الزمان فليس في وسعنا ان نلغيه .

جـ — وعلى اساس هذه الضرورة الاولانية تقوم المبادىء العامة لعلاقات الزمان ؛ فالزمان له بعد واحد فقط ، والزمان تتابع وليس حيزا (كما ان المكان حيز وليس تتابعا) . فهذه المبادىء لا يمكن ان تستلخص من التجربة فهي ليست من المعاني الكلية المجردة . وقصارى ما نستطيع قوله هو ان التجربة العامة تعلمنا ، ولكنها ليست كذلك على وجه تام فيما يجب ان يكون . وهذه المبادىء قواعد صارمة ، تمكن للتجربة العامة ، وتعلمنا كيف نحترمها .

د — والزمان ليس تصورا عاما ولكنه صورة خالصة للحدس الحسي ؛ فالازمان المختلفة هي اجزاء لزمان واحد ومن جنسه . بل ان تمثل المعطيات هو حدس . وفضلا عن كون الزمان ليس حيزا فانه لا يمكن ان يستخلص من تصور عام .

هـ — التمثل الحقيقي للزمان هو ابدا غير محدود . وذلك لان التمثل الكامل للزمان لا يمكن ان يقوم على التصورات العامة لان هذه انما تقوم على تمثلات جزئية فحسب . فالتصورات العامة على النقيض تستلزم حدسا سريعا يكون بمثابة الاساس في بنائها .

العرض الترنسندنتالي للزمان

قد اشير هنا الى ما اسلفت في الجزء الثالث من الفقرة الخامسة من اننا في حاجة الى الدقة ، فقد ادرجت تحت عنوان العرض الميتافيزيقي ، ما هو ترنسندنتالي على التحقيق . وهنا ساضيف فكرة الصيرورة . وفكرة الحركة باعتبارها صيرورة في المكان ، هي ممكنة ايضا من خلال تمثلنا للزمان ، لان هذا التمثل اذا لم يكن حدسا داخليا اولانيا ، فلا يوجد تصور من اي نوع يمكن ان يرد اليه امكان التغير ، وبعبارة اخرى فان اقتران المقولات المتناقضة في موضوع واحد ، كوجود الشيء في مكان معين وعدم وجوده في نفس المكان . ان المتناقضات لا تلتقى الا من خلال الزمان ، عند تتابعها . وعلى ذلك فان تصورنا للزمان يفسر لنا امكان المعرفة التركيبية الاولانية كما ظننت عند عرضي للمذهب العام للحركة ذلك المذهب المثمر الخصب .

(1) Ibid ; P. 43 — P. 47.

نتائج مستخلصة

أ ـ الزمان ليس شيئا مستقلا ، ولا امرا مباطنـــا بالاشياء في عالمها الموضوعي ولهذا فهو يتحدد بتجريدنا الشروط الذاتية للحدوس الحسية . لانه في الحالة الاولى يصبح شيئا مستقلا عن اي قوة من قوى الاحساس . وفي الحالة الثانية ؛ لن نستطيع الوقوف عليه عن طريق الحدس بواسطة القضايا التركيبية الاولانية ، لانه سيكون منوطا بالاشياء في ذواتها . على ان جميع حدوسنا يمكنها ان تتخذ مكانها اذا اعتبرنا الزمان شرطا ذاتيا ، لانه في هذه الحالة يمكننا ان نتمثل هذا الحدس الداخلي تمثلا اولانيا على الدوام عند مواجهتنا للاشياء .

ب ـ ليس الزمان سوى الصورة الداخلية للحساسة . اذ ليس في وسعنا ان ننظم الظواهر الخارجية عن طريق الزمان ، لانه لا علاقة له بالاشكال والاوضاع ، ولكن تقوم مهمته على تحديد العلاقات بين التمثلات في الاطار الداخلي وذلك لانه لا يعرض علينا شكلا او صورة . ان الزمان يرتب لنا سلسلة ذات بعد واحد ، يمكن ان نستخلص من خصائصها جميع خصائص الزمان ، ويمكن ان توجد اجزاؤها بحسب تتابع اجزاء الزمان .

جـ ـ الزمان هو الشرط الصوري الاولاني لجميـــع الظواهر . والمكان بحسبانه الصورة الخالصة للحدس الخارجي ، يمكن ان يحد بانه شرط اولاني للظواهر الخارجية وحدها . واذا كان في مقدوري ان اقول ابتداء : « كـــل الظواهر في مكان ، ويمكن تحديدها عن طريق اولاني نظرا الى علاقات المكان . » فاني استطيع ان أؤكد بصفة عامة ان « كل الظواهر على العموم وجميع موضوعات الحس ، هي في الزمان وترتبط بعلاقات زمانية » . اذا جردنا حدسنا الداخلي وحدوسنا الخارجية ، فيمكن فقط بفضل هذا الحدس الداخلي ، وبفضل قدرتنا على التمثل ، وكنتيجة لتناول الاشياء من حيث هي في ذواتها ، ان نعتبر الزمان كانه لا شيء . ان الزمان هو القالب الذي يضفي على الظواهر موضوعات الحس التماسك الموضوعي . الا ان الزمان ليس له نصيب من الموضوعية بدليل انه ليس في وسعنا ان نجرده من الحساسة او بعبارة اخرى لا نستطيع ان نجرده من تمثلاتنا الخاصة . فالزمان اذن شرط ذاتي خالص ، [وهو ذو طابع حسي دائما بقدر تأثرنا بالاشياء] .

اننا لا نستطيع ان نقول « كل الاشياء في الزمان » لان هذا التصور للاشياء لا نذكر باي نوع من انواع الحدس نستعين به . ولكن اذا اضفنا هذا الشرط الى ذلك التصور وقلنا : « كل الاشياء باعتبارها ظواهر اي من حيث هـــي موضوعات للحدس الحسي في الزمان » فستكون هـــذه القضية لها صداها الموضوعي الاولاني في نفس الوقت والحقيقة التجريبية للزمان كاي موضوع اخر يمكن ان يتمثل عن طريق الحواس . ولما كان حدسنا حسيا على الدوام فلا يوجد شيء من الاشياء يمكن ان نتمثله في التجربة لا يندرج تحت شرط الزمان . ومن جهة اخرى نحن ننكر الحقيقة المطلقة للزمان ؛ لان الخصائص التي تتسم بها الاشياء في ذواتها ، لا يمكن ان نعلمها بواسطة الحواس . فالمثالية الترنسندنتالية للزمان لا تقيم وزنا للحدس الحسي بمعزل عن الشروط الذاتية ، وهي لا تعد الزمان امرا متلبســـا بالاشياء في ذواتها . » (١)

واذا ما فرغنا من « كانت » صادفنا في طريقنـــا زعماء التطور ، والزمان عندهم اعمق واهم مقولة تقال على الوجود . فهو شرط لدعم الحياة في نشوئها وتطورها عند داروين ولا مارك . وهو شرط لدعم الفكر الانساني في نموه وصيرورته فيما ذهب اوجيست كونت . وهو شرط لدعم التطور الثلاثي ، وحسم النزاع الطبقي وحتى هيجل نفسه لم يستطع ان يتحاشى ما يفيد ان العقل الكلي واقع فـــي الزمان . وقريب من هذا ما قرره الفيلسوف الايطالي بندكتو كروتشه B. Croce بشيء من الجزم والوضوح من ان الروح العالمية حركة واقعة في الزمان . وان الوجود والتاريخ الكوني شيء واحد ما دام ان الوجود دائم التغير ، دائم الفعل ، دائم الخلق . كذلك لم ينف الفيلسوف الاميركي جوزيا رويس J. Royce معنى الزمان من حيث علاقتـــه بالمطلق [العقل الكلي] حين استعاض عنه بمعنى الازلية الذي يختلف كل الاختلاف عن معنى الزمان . نعـــم قـــد استعمل كلمة الازلية ولكنه قال ان الازلية هي ادراك المطلق للزمان دفعة واحدة في آن واحد ، كما يدرك الانسان النغمة الموسيقية ادراكا آنيا بعد سماعه طائفة متتالية مـــن النغمـــات .

اما برجسون H. Bergson

فقد جعل « الزمان » اساسا لفلسفته في الوجود . فهو يرى ان الحقيقة في اصلها ليست شيئا ماديا عقليـــا بل هي شيء اقل تحديدا من الاثنين ، هي شيء تصدر عنه المادة والعقل ، هي التغير او هي فيض من الحوادث تظهر في ثناياه الحياة على الدوام لابسة في كل آونة ثوبا جديدا . وليس ذلك الشيء ســـوى الزمان الحقيقـــي او الديمومة Duration ويقصد بها السيلان الدائم في تدفقه واتصال ماضيه بمستقبله واجلى مظاهره هو الحيـــاة الانسانية ، فنحن نولد ومعنا طبائع اسلافنا . نعم ليس من شك في ان الذي يعيننا على التفكير انما هو جزء صغير من ماضينا ولكن الذي يعيننا على الرغبة او على العمل هـــو ماضينا باسره . واذا كان المكان صفة للمادة Matter فان الزمان على العكس صفة للحياة او العقل Life or mind ويفرق برجسون بين الزمان كصفة للحياة وبين الـــزمان الرياضي Mathematical time فالزمان الرياضي صورة مـــن المكان على حين ان الزمان كماهية للحياة essence of life شيء اخر هو الديمومة . وفكرة الديمومة هذه فكرة اساسية في فلسفة برجسون وقد ظهرت اول مرة في كتابه « الزمان والارادة الحرة »(٢) .

اينشتين والنظرية النسبية

ظل الناس يعتقدون ان المكان والزمان شيئان ثابتان نرجع اليهما عند كل حكم وقياس ، حتى جاء اينشتـــين

(1) Ibid ; P. 47 — P. 51.

(2) B. Russel: History of western philosophy, London 1954, P. 823.

راجع ايضا ؛ فلسفة المحدثين والمعاصرين ترجمة الدكتور ابو العلا عفيفي . والاستاذ يوسف كرم ؛ تاريخ الفلسفة الحديثة . والدكتور عبد الرحمن بدوي ؛ الزمان الوجودي .

ونصراء النسبية فصرحوا بان المكان والزمان ليسا الا من قبيل الظلال المتنقلة الماضية في التغير والاختلاف . ولم يبق شيء ثابت الا نسبة سرعة الاجراء لانها وحدها تبقى ثابتة خلال تغير الحالات العامة . ومضى الناس يعتقدون ان المكان والزمان شيئان مستقلان حتى جاء اينشتين وصرح بانهما مندمجان في حقيقة واحدة هي « المكان ــ الزمان » «Space — Time» ورأى معه مينكوفسكي ان الزمان حد رابع للحوادث . فالمكان وعاء الحركة ووسط لا بد من فرضه لتفسير مسارها وانتقالها ؛ فالحركة والمكان اذن هما طريقة وجود المادة وطريقة تعبيرها عن نفسها .

نخرج من هذا كله انه لا يمكن ان نتصور شيئا من الوجود لا يشغل مكانا ولا يحدث في زمان ؛ فالمكان لا بد من فرضه اذن والزمان شيء ضروري ، ثم هما شيئان متحدان في حقيقة موضوعية واحدة . فالمادة ليست شيئا ممتدا اي ذات طول وعرض وعمق فحسب كما كان يعرفها ديكارت ، وانما هي شيء طويل عريض عميق متزمن . وقد عارض هنري بوانكاريه هذه النظرية وذهب الى ان الزمان بعد موهوم للمادة واستند في اثبات ذلك على الرياضيات الثابتة Invariant ؛ الا ان البرت اينشتين ومينكوفسكي تمكنا من اثبات ان الزمان له شان طبيعي كحد رابع للحوادث . واصبحت هذه الحقيقة لا يجادل فيها عالم من المشتغلين بالرياضيات العليا ، وعلم الحركات (1) .

ولقد كان للنظرية النسبية اثر كبير على التفكير الفلسفي منذ مطلع القرن العشرين . ومن اشهر الفلاسفة الذين تأثروا بمذهب اينشتين الدكتور صمويل الاسكندر S. Alexander صاحب كتاب « المكان ــ الزمان والالوهية Space-Time and Deity » : في البدء كان المكان والزمان ومن اتصالهما كانت الحركة ــ وهما متصلان منذ الازل والى الابد ــ فاذا كان الاشعاع هو اصل المادة ، وكان الاشعاع مجرد حركة ، فلا جرم أن حدوث الحركة في الفضاء هو اصل المادة في صورتها الاولى . واذن فاذا حدثت الحركة فذلك هو اتصال المكان والزمان ، وذلك هو وجود الاشعاع وتسلسل الاشياء المادية منه .

فالاسكندر يتصور الطبيعة في بدايتها اصلا ذا اربعة ابعاد « المكان الزماني » فيه مبدأ محرك ، ومنه تخرج المادة والكيفيات الثانوية والحياة والفكر ، وكلها عنه تعيينات مكانية ــ زمانية . ومن خصائص هذا الوجود تلزم جميع المقولات : فمقولة الوجود : Existence هي شغل جزء من المكان الزماني ، ومقولة الجوهر Substance تدل على مكان محدود بنطاق تتعاقب فيه احداث ، ومقولة الذاتية Identity تأليف حركات ، ومقولة الاضافة Relation هي الرابطة المكانية الزمانية بين شيئين ، ومقولة العلية Causality تدل على انتقال من حادث الى حادث . وهذه المقولات خصائص اساسية للمكان ــ الزمان .

وذهب الفرد نورث هويتهيد A. N. Whitehead الى ان الكائن ايا كان طبيعة معينة وانه عبارة عن كل او نظام ، اجزاؤه تابعة لطبيعة الكائن . غير ان هذه الاجزاء ليست عناصر او مركبات من عناصر ، وانما هي احداث ، او بالاحرى وحدات مكانية زمانية وعلاقات بين الحوادث تجري بمقتضى قوانين ثابتة .

* * *

والان بعد هذا العرض التاريخي السريع ، سنحاول من جانبنا ان نواجه المشكلة مواجهة مذهبية مستعينين في هذا بما اذاعه الفلاسفة من نظريات . وعندنا ان الزمان ضربان ، الزمان الخارجي او البعد الرابع على تعبير زعماء النسبية ؛ والزمان الداخلي او الشعوري الذي اشار اليه برجسون . واذا كان الزمان الخارجي بعدا رابعا للمكان فان الزمان الداخلي بعد رابع للحياة . وهذا هو الفرق بين الوجود الجامد والوجود الواعي . لان الشعور بالمدة وانقضاء الوقت هو الذي يمنح الوجود الحياة ، ويبعد عنه الثبات الذي هو الموت . ومما هو ذو مغزى كبير ؛ انه لا توافق هناك بين الزمان الداخلي والزمان الخارجي ، فان شعورنا بمرور الزمن دليل غير موثوق به تماما اذا استدل به على الزمان الذي انقضى بواسطة الساعة . فالازمنة تمر ببطء عندما نكون متعبين او متألمين ، وتمر بسرعة عندما نقوم بعمل فيه لذة . وتمر الازمنة عندما نكون نائمين كما لو لم تكن موجودة تقريبا وعلى ذلك فثمة ضرورة تدعونا الى التمييز بين الزمان الفزيائي والزمان النفسي . الا ان هناك ثمة اساسية تجمع بينهما وهي النسبية ، فالزمان بنوعيه نسبي خالص . وعلى اي حال فالزمان هو سر الوجود والحياة ؛ في العالم الخارجي والعالم الداخلي ، فالعمل هو وسيلتنا في الانتقال من الحاضر الى المستقبل ، والقوة هي وسيلتنا الى جعل الممكن واقعا ، وعلى قدر سرعة انتقالنا المستقبلي يكون حظنا من الوجود وشعورنا به . ومن ثم فليست العبرة بطول العمر وانما العبرة بمقدار سرعة انتقالنا المستقبلي . فالوجود الحق هو الوجود المتزمن ، والوجود الممتاز هو الوجود المتدفق الخاطف في خلال الزمان .

ومسالة الزمان ــ في رايي ــ لها مجال خصب في ميدان علم النفس ودراسة الشخصية ؛ فعندي انه من الممكن تحديد انماط الشخصية من موقفها ازاء الزمان . فالناس ينقسمون الى منطوين وانتهازيين ومتفتحين . المنطوون يوجهون اهتماماتهم الى الماضي . والانتهازيون ينكبون على الحاضر وحده ، ضعفا منهم امام وسائل الاغراء ، وعجزا عن مواجهة الحقائق مواجهة موضوعية . اما المتفتحون فهؤلاء يسيطر عليهم الشعور بالمستقبل . وهكذا يمكن تصنيف انماط الشخصية من وجهة نظر زمانية .

والزمان او المستقبل على التحديد موضوع خصب في ميدان علم المقارنة بين الاديان comparative religion وكما تجد للزمان دورا هاما في مجال علم النفس وعلم المقارنة بين الاديان ، تجد له دورا في عالم السياسة .

وبعد فهذا عرض سريع لمشكلة المكان والزمان ، عسى ان يكون توطئة لبحث شامل نتفرغ له في المستقبل .

القاهرة — **محمد فرحات عمر**

---

(1) S. Alexander: Space-time and Deity, New York 1950, Vol. I. P. 35 — P. 86.
I. P. 35 — P. 86.

وراجع ايضا Lincoln Barnett : The universe and Dr. Einstein, New-Yirk 1953, P. 16.

وقارن ايضا للدكتور مشرفة : النظرية النسبية الخاصة ، القاهرة سنة ١٩٤٥ . وللدكتور اسماعيل ادهم : نظرية النسبية الخصوصية ، بحث نشر بمجلة الرسالة المحتجبة من العدد ١٢٧ الى العدد ١٤٠ ، القاهرة سنة ١٩٣٥ ، سنة ١٩٣٦ .

لنا الوجـود

٥

فستانها الازرق
لم ’ينسني الجائعات
ولا خطى البائسات
تنساب فوق الرصيف
كذكرياتِ الخريف
ولكنها ذكريات
تومي ولا تنطق

★

جمالُها الريّق
أثار فيَّ المجون
ورن صوت جنون
ولكن رجعت اليَّ
أطفي لهيباً خفيًا
واهاً لتلك العيون
نداؤها شيّق ...

★

هذا السنى المُشرق
رأيت فيه السماء
أرضاً ودنيا صفاء
تمهلي يا ظنون
ويا ليالي المجون

لا تفتكي بالضياء
البؤس لا ’يشفقُ ...

★

ضمائر تنعقُ
فمن يصون الجمال
من عاهرات الضلال
قد حرت بين السماء
والارض والكبرياء
وماد فيَّ الخيال
وزوبع المنطق !

★

هذا الفضاء الازرق
للارض حتى السماء
لنا وحلم العطاء
لنا وهذا الوجود
لنا وطيب العهود
لنا فنحن البقاء
وصوته المطلق !

مصطفى محمود
من أسرة الجبل الملهم

مع دانتي في الكوميديا

بقلم عيسى الناعوري

✳

لست اريد ان اكتب « بحثا » في كوميدية دانتي ، ولكنني اود ان اتحدث عنها احاديث بلا انتظام ، وبلا تعيين، كما تجيء معي ، فقد يكون فيها بهذه الطريقة « الفلتانة » شيء من الطرافة والسهولة ، يستمتع بهما القارىء الذي كدت ذهنه الاحداث العنيفة التي تجري في الوطن العربي ،

من المعروف ان قصة كوميدية دانتي في الاصل انما هي قصة حب .

كان دانتي في صباه الباكر ــ وهو في سن التاسعة ــ قد أحب بياتريشي بورتيناري ، وهي بعد طفلة في مثل سنه او دونه بقليل . وكان حبه الطفل هذا عميقا وعنيفا معا . ولكن بياتريشي تزوجت بعدئذ رجلا اخر ، وتركت في قلب العاشق الذي اصبح رجلا جراحا عميقة . ثم ماتت بياتريشي ولها من العمر ٢٤ سنة وثلاثة اشهر . فنزفت جراح دانتي دما سخيا ، وظلت تنزف داخل قلبه حتى نهاية حياته ، وقد نغصت عليه الحياة ، وجعلته ينغمس في حماة الرذائل امدا غير قصير ، ولم يردعه عن ذلك كونه متزوجا ووالدا لعدد من الابناء والبنات ، وظلت الحبيبة تزوره في احلام يقظته ونومه مرارا متعددة.

وكتب دانتي كتابه الحياة الجديدة ــ Vitanuova يسرد فيه قصة لقائه الاول للحبيبة الطفلة ، ومراحل حبهما البريء العنيف ، ولقاآتهما في الطريق وفي الكنيسة . ومع قصة الحب جمع عددا من اغاني الهوى والحان الوجد . وقطع على نفسه في نهاية الكتاب عهدا ان يخلد حبيبته الراحلة بما لم يخلد به محب حبيبته .

وتقلب دانتي في حكم فلورنسا ــ مدينته ــ مع الحاكمين ، ثم نفي الى الخارج وعاش مشردا ــ كاللاجئين الفلسطينيين اليوم ــ ولكن من قصر امير الى قصر عظيم اخر.

وفي فترة التشرد التي رافقت بقية عمره سنحت الفرصة ليبر الشاعر العبقري بقسمه فوضع الكوميديا ــ اضيف اليها اسم «الالهية» بعد وفاة الشاعر ــ فجاءت في ثلاثة اجزاء : الاول الجحيم ، والثاني المطهر ــ او «الاعراف» ــ والثالث السماء ، وجعلها على شكل رحلة يقوم بها برفقة شاعر الرومان القديم الشهير فرجيل ، الذي كان دانتي ممتلىء القلب اعجابا به . وهو يقوم بهذه الرحلة بحثا عن فتاته الحلوة التي رحلت الى العالم الاخر ، وخلفت له الحسرات والالام والشوق الظامىء المحرق .

يبدأ الشاعر رحلته ، فيذكر انها كانت وهو في الخامسة والثلاثين من عمره ويحدد بعض الشراح زمانها بانه كان في ٨ ابريل سنة ١٣٠٠ ، وهي سنة اليوبيل ، وان الرحلة استغرقت سبعة ايام فقط ــ ويدخل الشاعر في قلب غابة كثيفة الاشجار متشابكة الاغصان ، ويظل يسير حتى يصل الى جبل عال ، فيهم بارتقائه ليصل الى فتاته فتسد عليه الطريق ثلاثة وحوش كاسرة : اسد وذئبة ونمر ، وتهم بمهاجمته ، فيرتد الى الخلف مرتعبا . وعندئذ يظهر له انسان عزيز عاد من العالم الاخر ليقوده عن طريق اخرى الى حيث يريد ، ويوصله الى الحبيبة التي يبحث عنها . فينحدر به الى الجحيم يجتاز حلقاتها ، ويرى انواع الهالكين فيها ، والاعذبة التي يقاسونها .

ولكن لم جاء فرجيل ؟ ومن ارسله لانقاذ دانتي من الوحوش ، وقيادته بامان الى حبيبته التي يبحث عنها بلهفة المحب المعذب القلب ؟

السيدة العذراء ، والقديسة لوشيا ، والحبيبة بياتريشي هن اللواتي ارسلنه .

كان دانتي شديد التعبد للقديسة لوشيا ، ولذلك اشفقت عليه حينما رأته يرتجف من الخوف امام الوحوش التي اعترضت طريقه ، فتوسلت الى العذراء مريم ان تعمل على انقاذه وايصاله سالما الى فتاته ، فدعت العذراء بياتريشي وأمرتها ان ترسل فرجيل ليقود خطى فتاها في طريق أمينة . وهكذا غادر فيرجيل مكانه في اليمبس بعد ان طلبت اليه باتريشي ذلك ، ونزل الى الغابة التي سدت فيها المسالك على الشاعر المتيم .

ورحلة دانتي ورفيقه في الجحيم رحلة طويلة، ومليئة بالاهوال والرعب . وقد استغرقت كتابا ضخما من اجزاء الكوميديا ، بل هو اضخم اجزائها الثلاثة تقريبا ، واحفلها بالمشاهد والاوصاف والحكايات الشديدة الاثارة للقارىء. وسنعود في بعض المقالات القادمة الى بعض تلك المشاهد والحكايات ، اما الان فنمضي في الطريق لنصل الى الحبيبة الحلوة التي ركب دانتي لاجلها الاهوال .

بعد ان يطوف دانتي وقائده في ممالك الجحيم ، يصعدان الى المطهر ــ الاعراف ــ فيطوفان فيه كذلك ، ويريان المساكين الذين يتعذبون في حلقاته انتظارا للساعة التي يطهرون فيها من ذنوبهم ، ثم ينقلون الى السماء انقياء طاهرين . ثم ينتهي الزائران الى الفردوس الارضي ، وهو ــ في الكوميديا طبعا ــ القسم الاعلى من المطهر ، وتجيء بعده السماء الاولى ــ وهي سماء القمر ــ ثم تليها سموات الكواكب والشمس والنجوم الثابتة .

في الفردوس الارضي يصل الزائران الى نهر ذي فرعين ، يدعى احدهما ليتيه Lété ويدعى الثاني ايونويه Eunoé فاذا على الضفة الاخرى من النهر سيدة رائعة الجمال اسمها ماتيلدا جاءت امام موكب بياتريشي لتهيىء الشاعر الارضي المتيم للقاء حبيبته السماوية الحلوة ، ومرافقتها الى السماء حيث عرش الجلال الاعظم .

وتقول ماتيلدا لدانتي ــ وهي بعد على الضفة الاخرى من النهر ــ ان الذي يشرب من الفرع الاول للنهر اويغتسل فيه يطهر من الخطيئة ، والذي يشرب من الثاني تتجدد نفسه بالنعمة والفضيلة ، ويصبح اهلا لدخول السماء ،ولايصبح المرء صالحا لدخول السماء الا اذا شرب من النهرين معا او اغتسل فيهما .

وعند ذاك يظهر نور عظيم ، وموكب رائع من ارواح الابرار ، كلهم في ملابس بيضاء ناصعة . وفي نهاية الموكب عربة فخمة يسير امامها ــ مثنى مثنى ــ اربعة وعشرون رجلا ينشدون : (مباركة انت بين بنات آدم ، ومباركة آيات جمالك الباهر الى الابد) . والعربة محمولة على اربعة حيوانات لكل منها ستة اجنحة ، ولها عجلتان، ويجرها

حيوان عجيب هو العنقاء ، نصفه نسر ونصفه الاخر اسد . وعلى يمين العربة ثلاث نساء يرقصن ، وعلى يسارها اربع نساء يهزجن ويغنين .

وبين أهازيج الموكب العظيم يقف احد الارواح السماوية ويهتف ثلاث مرات : (هللي يا عروسا من لبنان) ، فيردد الباقون هتافه ، ثم تتعالى هتافات اخرى : (مباركة الاتية) ، وتمتلىء الطريق برش الازاهير . وفي وسط سحابة من الورود والازاهير تظهر امرأة عليها معطف اخضر ، وعلى وجهها قناع يمنع تجلي جمالها الباهر بروعته الساحرة ، وتحيط بخصرها اغصان من الزيتون ، وملابسها بلون الشعلة الحية .

وكطفل مرتجف ينظر دانتي حوله ليستجير بقائده ورفيقه فرجيل ، ولكن فرجيل كان قد اختفى لان مهمته قد انتهت عند ذلك الحد . ويسمع دانتي صوتا يقول له : (لا تبك يا دانتي على فراق فرجيل ...) واذ يسمع الشاعر اسمه يلتفت الى مصدر الصوت ، فيرى المرأة تنظر اليه وتقول : (انظر الي جيدا ، انا بياتريشي !) فيشعر الشاعر بالخجل والارتباك ، ولكن المرأة تنظر اليه بمثل حنان الوالدة ، ثم تلتفت الى الموكب وتمضي تروي لهم قصة حب دانتي لها ، وقصة مسلكه وانغماسه في الرذائل بعد موتها ، وتؤنبه على ذلك ، فيعترف باخطائه وسوء تصرفاته نادما تائبا .

كل ذلك يجري وما يزال النهر يفصل بين دانتي والموكب . وحينما ينتهي دانتي من سرد اعترافاته تتقدم ماتيلدا وتغمس الشاعر في نهر (ليتيه) ليطهر من خطاياه ، فيقدنه الى امام العربة ، ثم يتوسلن الى بياتريشي ان تحسر وتتقدم النساء السبع اللواتي على يمين العربة ويسارها القناع عن وجهها امام فتاها الامين ، فلا يلبث القناع ان ينحسر عن الحسن السماوي الباهر . ويمضي الشاعر مع فتاته في وسط الموكب العظيم . وبعد مرحلة قصيرة تتخللها مشاهد غريبة ، ومحاورات مختلفة ، تعود ماتيلدا فتغمس الشاعر في نهر (ايونويه) لتتجدد نفسه بالنعمة والفضيلة ، ويصبح صالحا لدخول السماء ، فيشعر دانتي بانه قد خلق من جديد ، وانه مستعد لان يصعد مع فتاته الى النجوم .

وينتهي عند ذلك فصل المطهر ، وبعده نشاهد دانتي مع بياتريشي في السموات العلى ، وهي تقوده من سماء الى سماء ، وتشرح له كل ما يراه ، وتقف عند من يرغب في التحدث اليهم من سكان السماء ، حتى يصل بهما التجوال الى رؤية الجلال الالهي الذي تحيط به تسع حلقات من النور ، هي أجواق الملائكة القائمين على تسبيحه . وبياتريشي تزداد جمالا وتألقا كلما اقتربت من العرش ، حتى تبلغ من روعة الجمال ما يدهش العقول ، ويتجاوز كل حد في التصور والوصف .

تلك هي باختصار قصة الكوميديا الخالدة التي انشأها دانتي يخلد بها حبا رافقه من الطفولة ، فشغل به الاجيال من بعده ، فكان كما اراده صاحبه اروع تخليد قام به محب لمحبوبته .

ولنا الى الكوميديا اكثر من عودة واحدة .

عمان — **عيسى الناعوري**

رشاد دارغوث والمسرحية

بقلم مارون عبود

✳

الاستاذ رشاد دارغوث قصصي من الطراز الاول ، وقد ظهرت عبقريته القصصية في اولى رواياته (خطيئة الشيخ) ، فقفز بها الى الصف الاول ، وكان في طليعة ادبائنا الافذاذ . على خطيئة الشيخ قامت شهرته ، ثم اتبعها بمجموعات قصص قصيرة حالفه فيها التوفيق الفني : « فالحاج بحبح ، وحماية الوادي ، وعلى دروب الحياة » فيها من روائع الاقاصيص شيء كثير .

وها هو اليوم ينتقل الى المسرح فيكتب لنا مسرحية (سيعودون) . الضمير يعود الى المغتربين ، والضمير لا يعود الى متأخر لفظا ورتبة ، فهل يعودون هم بعد التقدم ؟ الله اعلم بالسرائر .

نهج رشاد نهج تيمور في اقاصيصه ، واغلب الظن انه اراد ان يكون له مسرحيات مثله ، ولكن يبدو لي انه في مسرحيته هذه اوفر حظا من الاستاذ تيمور ، لانه انتزع مسرحيته من صميم حياتنا . وقد عمل بقول ارسطو المعلم الاول : «ليست مهمة المؤلف المسرحي ان يصف الواقع بل الممكن وقوعه » .

قسم ارسطو ابطال المسرحية الى ثلاث فئات : فئة هي فوق الناس اي الالهة ، وهؤلاء فاتهم الزمان ولم يعد للالهة خبز في مسارح هذا العصر ، فقد حل محل الالهة (راعي البقر) الذي سيأتيك خبره في سيعودون . وفئة ثانية هي مثلنا وفئة ثالثة هي دوننا . أما شخوص مسرحية رشاد فيظن انها نسخة طبق الاصل عنا ، ولكنها ليست واقعية بهذا المقدار ولهذا جاءت كما يجب ان تكون المسرحية الحق .

فمسرحية (سيعودون) ذات اشخاص يسيرون في حياتهم سيرا هادئا مطمئنا ، وهذا مصدره شخصية المؤلف خالقهم . قالوا في المواليد الحقيقيين : « الابن سر ابيه ، ومن يشابه ابه فما ظلم » . فنحن يحق لنا ان نقول : بورك في البنين الصالحين يا رشاد . فهذه المسرحية وان كانت من عمل خيالك فهي لا تختلف عن الحياة ، فعندما نقراها لا نتمالك ان نقول : « الحياة هكذا » . وربما قلنا ايضا عن اكثر شخوصها : هذا مثل فلان .

لقد طرق رشاد ناحية بكرا من نواحي حياتنا الحاضرة ولم يعش في فردوس الماضي السعيد المفقود ، لقد صلى على الحاضر ، واكلنا من مادبته طعاما شهيا . فقصة مسرحيته من مستوى رفيع ولا تصف مكانا ضيق المحيط ، وحوادثها ليست من الشؤون الميتة ، بل تصف نصف شعب او اكثر ، وتمثل لنا في سعيد (بك) الابراهيم راعي البقر نسخة غير نادرة الوجود .

نسخ رشاد ابطاله عن سجل الحياة ووهبهم حواره واسلوبه حياة لا هي بالصاخبة ولا هي بالبليدة . فوظيفته التي تريه كل يوم صورا الوانها شتى وملامحها اشكال ،

هي التي خلقت لنا ام هالة المنتظرة لبنتها صهرا مليونيرا ، فجملها حلمها الماسي تهجس بسجل التشريفات . اليس اول ما يفكر به القادم الينا هو ان يعرج على القصر ويدون اسمه في سجل التشريفات ، وسيان عنده ، ان تشرف بالمقابلة ام لم يتشرف ... اما لحس الفرن على ريحة الكبه ؟

فمسرحية (سيمودون) مدنية ولكنها تنظر الى الضيعة وتستلهمها ، اما قال المحقق للدكتور : « لا شكر على واجب ... فنحن من ضيعة واحدة ! » فالشخوص جبليون احتلوا المدينة ولم يختف بعد طابعهم ، وهم كبطل المسرحية سعيد الابراهيم الذي لم تختف ملامح جبليته ، وان ولد وتربى في اميركا .

فهذه المسرحية الطريفة مرحة ولكن مرحها مبطن بالسخرية من ابطالها ، وركائزها الفنية قائمة على النقد الاجتماعي ، وهذا النقد موحى به من هناك . وكاني برشاد يقف في ديوان رئاسة الجمهورية مستعرضا الانماط ومنتقيا منها ما يلائم موضوعه . وكم نحن في حاجة الى من يصور لنا هذه المشاهد في حياتنا ! وهل يحسن تصويرها الا من كان كالاستاذ دارغوث شديد الاتصال بالقصر ومن يتهافتون على اعتابه ؟

ان الكاتب الفنان الاصيل يستلهم الشخوص الاحياء الذين تقع عليهم عيناه ، فيستعير منهم ما يلائمه ويترك ما بقي الى موعد اخر ... فربما احتاج اليه . الا انه يكيف ويحور كما تقتضي الحال ، واذا كان يخشى ان يفتضح امره ويغضب من صوره ، فانه يضع في بطاقة الهوية التي منحها لذلك الشخص ، علامة فارقة تزيل الشبهة وتبعد الظن . ورشاد دائما في تأمل وتألم ، لانه من طبعه سام ويتسامى دائما ، دافعا نفسه الى المثل الاعلى ، بل الى قمة المثل الاعلى . متامل ، لان كل شخوص مسرحيته مخلوقة طبق نماذج . ومتالم والمه الحاد يظهر من عطفه على الموظف الذي رزقه الله اولادا بغير حساب ، خمسة توائم . وتتحرك عاطفته الانسانية العميقة فيهيء له سعيد الابراهيم بطل القصة ، فيتبرع له على طريقة الامريكان بعشرة الاف دولار ، وهكذا اصاب عصفورين بحجر واحد . صور شقاء الموظف الامين ، وما اكتسبه المهاجر من خلق الامريكان ، وان كان راعي بقر كسعيد الابراهيم . ثم يصور هذا المغترب يهب المرضة ادما التي سهرت عليه واحبها نصف مليون ليرة ، كما يهب [...] مثل هذا المبلغ بضربة واحدة كبخيل الجاحظ تماما .

قد يقول القارىء اليس من حقي عليك ان تلخص لي هذه المسرحية على الاقل لافهم ما تقول وامشي معك على ضوء !

ـ على راسي ، يا عزيزي سالخصها لك بشطحة قلم ، فانا يشغلني الفن في الموضوع ، وقد اعجبت جدا برشاد ومسرحيته . الموضوع بسيط جدا . مهاجر ـ سعيد الابراهيم ـ تنتظر بنت عمه قدومه السعيد لتزوجه بنتها هالة ، الفتاة الجامعية المثقفة ، تريد ام هالة ان تقبر الفقر وتصير حماة مليونير . ويجيء المليونير (راعي البقر) فتخف ام هالة وبنتها لملاقاته في المطار ، ولكنه يذهب توا الى بعلبك بعد ما ياخذ من تراب ضيعته تنكة ليرشها على قبر امه في الوطن الثاني ، فيتعس به الحظ وتصطدم السيارات في طريقه الى بعلبك ، فينقل الى المستشفى جريحا حالته في خطر ، ولجهلهم هويته يحمله المستشفى

رقم ١٣ ، ولا شك في ان المؤلف يريد ان ينتقد هذه الخرافة المهجرية ... وتبحث ام هالة عن ابن عمها فلا تعرف اين هو ، واخيرا تهتدي اليه وتتعرف عليه ، فيكون قد وقع ، بعد ان افاق من غيبوبته ، في شراك الممرضة الجميلة ادما ، فتظل بنتها هالة الجامعية طريدة حبيبها جميل الموظف في شركة التامين . وعندما يصح الصحيح تهتف ام هالة بابن عمها وهي يكاد يغمى عليها : « يا ويلي عليك قطعت الحبل فينا » . وهنا لا بد من ملاحظة : ان حذف الشطر الاول « وصلتينا لنص البير » يدلنا على ارستقراطية رشاد الادبية وترفعه عن درك العامية ، فهو يريد ، كما نريد ايضا ، ان يكون اسلوبه بين بين .

وبعد فماذا ارتك من هذا التلخيص ؟ اريتك العمود الفقري وليس كل الهيكل العظمي ، والجمال كله في اللحم والدم ، اي في التفاصيل ، وهذا ما لا استطيعه . واني انصحك ، اذا اردت ذلك ، ان تكتب الى الاستاذ دارغوث لعلك تحصل على نسخة لان الخمسماية نسخة التي طبعت ليست معدة للبيع ، او اكتب الى شاعرنا الكبير البلبل المهجري الصداح الاستاذ جورج صيدح فهي مهداة اليه وهو رمز المغترب النبيل .

ان قوام المسرحية ثلاثة اشياء : الموضوع والاشخاص والاسلوب . فالموضوع وهو ما رأيت من صميم الواقع . والاشخاص كأنهم احياء يرزقون تتعرف عليهم في كل مكان من لبناننا السعيد ، والاسلوب غير بعيد مما يدور على لساننا ، فكل هذه العناصر مما يقع في اذاننا وتحت بصرنا . والحوار هو دم المسرحية طريف ظريف ، تهكم ملبس على لوز مر ، وحوادث المسرحية يسيرها تداعي الافكار فاتصلت اجزاؤها اتصالا دقيقا .

السائد في هذه المسرحية هو النقد الاجتماعي ، ولذلك تومىء من طرف خفي الى الجامعيين والجامعيات ، مقيمين ومغتربين ، كما يستدل من محاورة جميل وهالة في الفصل الاول من المسرحية :

جميل ـ ولكن الذي بيننا ...

هالة ـ وماذا بيننا ! انت عندي رفيق يساوي سواه من الرفاق .

جميل ـ اليس لي شيء خاص من دونهم .

هالة ـ انت تعني انني اطمئن اليك فارافقك الى السينما مثلا .

جميل ـ لا لا ، هذا شيء بسيط .

هالة ـ وارافقك الى شط البحر .

جميل ـ لا لا ، هذا شيء بسيط .

هالة ـ اذن ماذا تقصد بالشيء الخاص ؟ احك . ها ها تذكرت ! انت تعني انك ساعدتني في اعداد اطروحتي .

جميل ـ وكيف تعلنين هذا السر الخطير ؟

هالة ـ خطير او غير خطير . ساعدتني كما يساعد غيرك غيري . هل تظن ان واحدا من الطلاب او الطالبات يعد اطروحته بنفسه دون مساعدة الغير !

جميل ـ على كل حال اذا ساعد الطالب او الطالبة شخص او اكثر في اعداد الاطروحة فذلك خير من ان تكتب لهما تلك الاطروحة بكاملها .

هالة ـ كما يفعلون في بعض العواصم الغربية .

هذا في الفصل الاول ، اما في الفصل الخامس ، وهو الاخير ، فيقول رشاد مخبرا منتقدا بلسان البطل ،

يساله المحقق عن اسمه فيجيب ، اسمي سايد ابراهام في امريكا ، وهنا سعيد الابراهيم . ما اسمك انت حتى نتعارف ؟

فيقول الطبيب : سعادته يوسف بك ابو نبوت المحقق الاداري .

فيجيب سعيد : انا في امريكا راعي بقر ...

ثم ما ابلغ قول الطبيب وهو يصف جثة القتيل : « فالراس راس رجل امي ينطق بالجهل والغباوة والجثة جثة انسان تضج مظاهرة بالغنى والترف » .

ويدور حوار حول كلمة (الجريح المزبور) ثم يقع الخلاف حول كلمة قضاء وقدرا وباذن الله . ولا يسلم (التحقيق) من قرصات ولذعات المحقق اولا : « الحادث وقع قضاء وقدرا كما اوصى بذلك معالي الوزير . ويقول ثانيا عند نهاية التحقيق : في فمي ماء . اكتب يا ابني ما امليه عليك ، فقد امرنا بحفظ هذه الاوراق الى ... اشعار اخر .

ولو جئت ادل على مثل هذه النكرزات المؤلمة في المسرحية لنقلتها كلها ، فهي مبنية على النقد من كل لون . ولو كان يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، لقلد رشاد سعيد بك الابراهيم وساما رفيعا لانه لا يقل اهلية وكفاءة عن سواه ، ولكن الملدوغ يخاف من جرة الحبل ، فقد كفاه ما جنت عليه احدى رواياته وامرها لم ينس بعد .

واذا اجتزت هذه المسرحية من بابها الى محرابها ، رأيت على جانبي طريقك ما تفيض به قريحة المؤلف من نقدات عابرة تظنها غير مقصودة وهو يعنيها . يصب جام سخطه على الجامعات والجامعيين فيقول بلسان هالة ، والجامعيون هل لهم حديث غير الحب ... واغراء الفتيات؟ فيجيبها جميل : في عهدنا كانت الجامعة اعلى مستوى لان اساتذتها كانوا علماء وادباء موهوبين ، ومفكرين احرارا فترد هالة : اما في عهدنا فالجامعة صارت تساوى غيرها من المؤسسات التجارية ، واساتذتها مثل سائر المعلمين ... لا رسالة ولا انتاج .

والمليح في الاستاذ دارغوث ان شخصيته لا تظهر ابدا ولا يفرض على شخوصه ملامحه وافكاره فرضا ابلق ، ولكنه يفعل ذلك من بعيد . فمسرحيته (سيعودون) رواية عصرية من صميم الواقع بل هي خبزنا اليومي تقع اعيننا على مشاهدها كل ساعة : في البيوت ، وعلى الميناء ، وفي المطار ، فلبنان يودع كثيرا ويستقبل قليلا ، وان استقبل من بنيه احدا فكما قال الشاعر العتيق : « كان تسليمه علي وداعا ! »

لقد اقترب رشاد من الحياة اكثر من مسرحيتينا ، ودنا من البساطة التي هي عنصر الفن المسرحي الرفيع اكثر واكثر ، وقد كان في الامكان ان يكون الحوار اكثر بساطة لو تنازل رشاد قليلا عن ارستقراطية الاسلوب ، وتقديسه للعبارة القديمة وهربه من الدخيل فيقول : غطاء رأسه بدلا من قبعته يدلك على هذا اعتذاره في المقدمة : فلا عجب اذن اذا اصطبغت هذه القصة الحوارية بالطابع الاقليمي وان كانت انسانية النزعة) .

ليت شعري هل كتب موليير وموبسان وجميع كتاب الروس غير قصص اقليمية ؟ ان الاقليمية والانسانية ليسا كالخراسانية والهمدانية فلا يجتمعان ، كما قال بديع الزمان في رده على كتاب استاذه .

لا نبحث الوحدات الثلاث التي كانت معبودة الفنانين القدماء ، فتلك قيم ولتمع ما ولى من المقاييس الكلاسيكية. يكفينا من ادينا الفنان الملهم هذه القيم الادبية والاخلاقية، فمجتمعنا احوج ما يكون الى كاتب ينتقده هذا النقد الصارم المضحك المبكي بمثل هذه الصورة الحية التي لا تعمل فيها ـ اما العقدة فهي عصرية ، انها انشوطة تحل بسهولة ، وكذلك ابتداء المسرحية .

الكاتب خباز وكما يسهر الفران الحاذق على ما يصدر للناس فيبعد الارغفة المحروقة والمشعوثة كذلك يفعل اديب كرشاد دارغوث . ان ذوق الجمهور قد ارتقى فعلينا ان لا نقدم له حجارة فنية بل رغيفا سخنا رافخا شهيا . اننا نحتاج الى الكاتب كما نحتاج الى الخباز (الاسطا) الاستاذ فعند الاثنين غذاء لا بد لنا منه .

قد تعودت ان اناقش التقديم اولا ، ولذلك اراني مضطرا ان اناقش الاستاذ فريد مدور نقاشا عابرا مثل درس نوابنا للمشاريع التي لا خبز لهم فيها ... فالاستاذ مدور كاتب مسرحي موفق ، وله الحق ان يبدي رايه لانه خبير فني في هذا النوع . قال الاستاذ في تقديمه لهذه المسرحية : ولن يكون المؤلف ناقدا ولا الناقد مؤلفا) . وانا ارى ا نالاثنين يكونان . فاذا لم يكن المؤلف ناقدا فمن ينقي له ما يكتب من الزوان ؟ هل يستاجر من ينقي ويغربل له كما نفعل بالقمح قبل طحنه ؟ اما بقية اراء المدور في الاخراج والتمثيل والمسرح والنظارة فوجيهة جدا ، وعليها يتوقف نجاح المسرحية لانها تكتب لتمثل لا لتقرا .

فالاستاذ دارغوث يحتاج الى مشاهد لبيب يفهم من الاشارة ، لانه لا يكتب بالقلم العريض كما نقول ، ولهذا اني اتمنى لهذه المسرحية جمهورا فاهما لا من الذين يطربهم الغناء الرخيص والضرب والقتل ، والقبلات التي تستمد لحنها من مفرقعات الاعياد ومطارحات الغرام المبتذلة .

ان رشاد يقسو على المجتمع باشمئزاز مبطن بدبلوماسية المحيط الذي يعيش فيه ويفرض عليه النعومة ولو كان غير موظف لارانا غير ما ارانا ، ولكن حسبه انه الاديب الذي لم تلهه وظيفته عما خلق له ، ولا خوف على الراغب من انتقاص ملكته ، فان طال الزمن او قصر فلا بد اننا في النهاية نعطي ما عندنا ـ انك اذا فتشت في رشاد عن فصاحة وبلاغة فانك تجد رجلا قبل كل شيء ، رجلا فنيا مطبوعا يلبس الحقائق ثوبا منمنما . ان العلم كالحساب جفافا فنيا ، اما الفن فهو علم من نوع اخر ، تقبله على انه فن وهو في الحقيقة علم ولكنه بسام ضاحك كما عند رشاد . ان العلم لا يتمتع به الا نفر قليل تمتعا منقوصا ، اما الفن فيتمتع به الناس تمتعا كاملا غير منقوص .

كنت احب ان يكون ختام المسرحية ازخم فيزودرشاد النظارة بشيء يبقى لهم لياتوه بالاخبار كما قال طرفة ..

اشهد انني ، بعد عشرين عاما ، اي منذ اصدر رشاد « خطيئة الشيخ » قد رايته في (سيعودون) كما هي تلك من حيث النضال الاجتماعي ، وهذا يدلنا على عقيدة رشاد الراسخة ومحاولته الاصلاح ، وهذا ما جعلني اترجى لاثاره النفيسة عمرا طويلا .

مارون عبود

قصـــة سورية

الجـزاء

بقلم فـاضـل السبـاعي

✳

لما بارحت العصا خاطره(1) مذ دخل قاعة الدرس الاول هذا ... كانت تتراءى له – طورا – في عين الخيال وهي تهوي على كفيه في ضربات خمس لا تنقص .. وفي الطور الاخر ، كانت تتجسد امام ناظريه حقيقة ناصعة مرة تقبض عليها بحزم يد المعلم وتنهال بها – في الفينة والاخرى – على ايدي رفاقه المقصرين او المشاكسين ، فان ضن احدهم بكفه ان ينالها من عصا المعلم كل ذلك الاذى ، اطبقها مترفقا ونفخ فيها من نفسه ثم جعلها تحت ابطه معتصرا اياها حريصا عليها ، فلا يكون ثمة من المعلم الا ان يشد له كفه الثانية ، فان هو عصى صاح به صيحته المعهودة : « افتح يدك ... يا مضروب .. » .

ليته نال عقابه واستراح . ولكن دوره لما يئن . انه في آخر الصف ، مع الطوال .. لم يعد به اصطبار على رؤية زملائه يضربون وعلى تخيل العصا تدغدغ راحتيه في غير مزاح .

ان « منذر افندي » معلم صارم ، لا يعرف في تقويم تلاميذه غير الشدة والظلم .. ان قارف احدهم هفوة نال عليها عصوين ، او خمسا ، او عشرا .. فان احب ان يزيد في ايلامه ، فرض عليه كتابة درس « القراءة » مرتين ، او خمسا ، او عشرا ، او عشرين .. حسبما يتراءى له في فوره غضبه ، وما عليه الا ان يهيب بعريف الصف ان يسجل اسم هذا الكسول في زمرة المعاقبين .. ثم يكون على ذلك الكسول ان يقدم « الجزاء » في اليوم التالي ، مكتوبا عدد المرات المفروضة ، وبالخط الجيد فذلك شرط لا مفر منه .. فاذا لم يقدم « الجزاء » ، فالعقوبة معروفة سلفا لديه ولدى تلاميذ الصف جميعا : يأكل خمس عصي ساخنة على كفيه يستجير منها برب السماء ، ويزاد عدد المرات الى الضعف .

وقطع عليه خواطره ان سمع احدهم يستجير .. فاهتز بدنه ودق قلبه .. وتذكر امه ليلة البارحة .. انها هي السبب ، والله هي السبب .. لقد احب ان يكتب مراته الخمس ، ولكنها منعته لئلا يلوث الحبر الازرق اصابع يمناه وهو خارج لتوه من الحمام .. ان امه قد قست عليه البارحة وضربته اكثر من مرة ، فاحتمل اذاها صاغرا غير متذمر .. لانه – في الحق – قد سبب لها المتاعب في الحمام كثيرا .

لقد كان البارحة ثلاثاء . والثلاثاء – كما يعرف جيدا – هو اليوم الوحيد الذي تفتح فيه حمام الحي ابوابهاللنساء.. كان قد مضى على استحمامه الاخير عشرون يوما ، او واحد وعشرون على وجه التحديد . وامه من قبل ايام تتهيا للذهاب واخوته الى الحمام . فلما كان البارحة ظهرا حملته على راسه البقجة تضيق بما فيها من الثياب ملفوفة بسجادة الصلاة ، في حين احتملت اخته « عيوش » وعاء « البيلون » ، اما « زينب » فقد امسكت بيمناها صرة الاكل .. بينما تسلق اخوه الصغير مصطفى صدر امه واراح راسه عند كاهلها لا يريم .

ولما كان وامه واخوته في طريقهم الى الحمام ، كان يجتر في خاطره من تحت البقجة « الجزاء » الذي فرض عليه في الصباح .. ذلك انه عندما وصل اليه – البارحة – الدور في القراءة ، لم يكن قد اتقن قراءة درس «الخريف»، فما كان من المعلم الا ان ضربه خمس عصي على راحتيه وصاح بالعريف ان يكتب اسمه في قائمة الكسولين مقرونا بخمس مرات درس « الخريف » للغد . وانه كان موطدا العزم على ان يكتبها ، فليس في ذلك بد .. ولكنه سيخرج من الحمام في الليل متاخرا ، فهل تكفيه ساعة او ساعتان لكتابة خمس مرات درس « الخريف » بالخط الجيد ؟.. منذ تلك اللحظة لازمه القلق وانتصبت في خاطره عصا المعلم لا تحيد .

على ان اول المنغصات كان في انتظار امه لدى دخولها الحمام . لقد كانت في حالة انشغال وانهماك ، فهي مقدمة على الاستحمام .. عليها ان تدعك راسها بالصابون والبيلون طويلا ، عشرات « الافمام » ، وتفرك جسدها بالكيس ، ثم تقوم بهذا الصنيع له ولاخوته الثلاثة .. انها مهمة عسيرة تضني امه وتنهك عافيتها وتجعلها في غاية من التوفز تثور معه لاتفه الاسباب . فلما وصل الركب الى الحمام ودلفت الى الردهة امه واخوته وهم هو بالدخول مندسا بينهم حتى يضيع عن ناظري « المعلمة » ، ما احس الا ويدا غليظة حازمة تتسرب اليه من بين اخوته وتقبض على ذراعه المشدودة الى البقجة ، وصوتا يصيح مؤنبا :

– حرام عليك ، يا « ام علي » .. ابنك ما شاء الله صار « رجال » .. عيب يدخل مع « النسوان » ؟..

فالقى الى امه نظرات تطفح بالاستغاثة . ان هذه المراة اللعينة قد باتت تترصد له في الاونة الاخيرة في الباب كلما اقبل الى الحمام يستحم لتمسك به وتمنعه من الدخول بدعوى انه قد اصبح رجلا ... فتنشب اذ ذاك بينها وبين امه مناقشة حامية تشترك فيها في الغالب نسوة يكن في الردهة الخارجية هذه على مقربة من مصطبة

(1) اذيعت من دار الاذاعة السورية بحلب .

المعلمة ، ما بين متسامحات في دخوله الحمام وبين منكرات عليه الدخول .. ولقد كانت الصبايا دائما اشد المستنكرات استنكارا ، وكن يهربن من امام ناظريه متلفعات بمآزرهن يشددنها الى ما فوق الاثداء .. في حين كان العجائز يبدين نحوه بعض التسامح والتساهل ، كن يقبلن الى المعلمة ذات الوجه السمين المورد الباركة كالجمل على مصطبتها بجوار الباب ويؤكدن لها انه بعد طفل صغير لا يفهم شيئا عن النساء ، وكانت تدنو اليه في بعض المرات عجوز او عجوزان وتمد كل منهما سبابتها الى ارنبة انفه وتتساءلان عن شيء لا يفهمه ، ثم تعلنان الى المعلمة بجزم واعتقاد ان « الماء ما وصلت الى القسطل » (٢) .. ولقد حيرته هذه العبارة طويلا عندما ترددت على مسمعيه بعضا من المرات ، فسأل امه منذ ايام عن معناها ، فكان جوابها صفعة على قفاه وقولا زاد الغموض في خاطره غموضا : « عيب .. استحي على وجهك !» . على ان تلك العبارة وعبارات اخرى تقولها العجائز للمعلمة ، كانت كافية لاسكاتها والقضاء على معارضتها ، فتتذلل امامه المصاعب وينفتح لدخوله الحمام كل مصراع .

وعندما احست امه بقبضة المعلمة تسله من بين اختيه، ارتدت الى الوراء قليلا حتى اصبحت بمواجهة غريمته ، وصاحت بها بلهجة العتاب ونفاد الصبر :

ــ و « بعدين » معك ، يا معلمة ؟.. كلما جئنا الى حمامك تعاملينا هذه المعاملة ؟..

وفيما كانت المرأتان تتبادلان العتاب والنقار ، وهو الى جانب يشهد وقد خطفه انشداه واستغراق في متابعة ما تلفظان ، ما احس الا والبقجة تنزلق من على رأسه وتهوي الى الارض المنداة بالماء وتنتثر من داخلها الحوائج والمنشفة والمئزر .. فما كان من امه ، اذ بصرت بما ادى اليه اهماله ، الا ان قطعت نقارها وانكفأت اليه تدحه بجمع يدها على ظهره مودعة بذلك كل ما يضطرم في نفسها من نقمة وغضب على المعلمة ، وهو في ذلك ــ علم الله ــ ما دمعت عيناه ولا انفرجت شفتاه عن صيحة احتجاج ، لانه عرف في نفسه اخا متاعب يسببها لامه متلاحقة متتابعة ، ثم مالت وبناتها الى الارض يلممن ما انتثر من ثياب ، في حين كان هو الى جوار الباب مطرق يحز في نفسه الحزن والكآبة .

كل ما يعرفه بعد ذلك ان المعلمة تساهلت مع امه ، فسمحت لهبالدخولـ على ان تكون المرة الاخيرة ــ عقب جدال لم يطل بعدان اوقع البقجة فاستدر بذلك عطف المعلمة على امه وتأييد العجائز والصبايا على السواء .

ثم ان الموكب اتجه الى مصطبة في وسط الردهة ، تشغل الجانب الاكبر منها حوائج اسرة ليس ثمة من افرادها احد ؛ فاحتلت امه الجانب المتبقي من المصطبة . فمدت سجادة الصلاة على طولها ، وجعلت في صدرها لصق الحائط البقجة بعد ان مسحت آثار الطين التي علقت بالحوائج بخرقة ندتها بالتو من ماء البركة القائمة وسط الردهة . وبعدها اهابت به وباخوته ان يخلعوا ملابسهم ويكوموها في الزاوية . وما هي الا لحظات حتى كانوا في طريقهم الى الردهة الوسطى تحمل امه اخاه مصطفى وقد ائتزرت بمئزرها الاحمر الحائل ذي الرقع الثلاث ، تتقدمهم اختاه ، تحمل الاولى وعاء البيلون وتحمل الاخرى لوح الصابون و « الدريرة » والليفة والكيس ... بينما كانت الضجة الغامرة تقرع اذنيه كلما تدانوا اكثر من الداخل .

وفي الردهة الوسطى وقعت عيناه على تلك الدنيا العجيبة التي تعود ان يتسلى بالتفرج على اناسها وحركتها الدائبة الزاعقة .. كان بعض النساء والبنات يرحن ويجئن، صائحات غاضبات تارة ، وصامتات اخرى .. وهناك ثلاث عجائز جالسات على البلاط يشغلهن حديث شيق لا ريب ، لم تتلقط اذناه منه شيئا ، فقد كان عويل الصغار المنبعث من الخلوات الجانبية في الردهة يصم الاذان ولا يدع مجالا لان يعي فيه المرء مراد مخاطبه الا بشق النفس ؛ فهذا طفل يصيح بامه باكيا ضائقا بما تصنع به .. وتلك ام في خلوة اخرى لم تجد بدا من ان تنهال بالضرب على جسد ابنها العاصي الذي يأبى على نفسه ان تنعم بالنظافة كما ينعم بها سائر الناس .

على ان متاعب جديدة بدات تهتك الهدوء الذي اخذ يرين على محيا امه .. ذلك انه اعياها البحث عن خلوة تستطيع ان تركن واخوته اليها . فهي كلما أطلت الى خلوة وجدتهاتغص بمن فيها الى حد الانبعاج. ولم تجد بدافي اخر الامر من ان تدلف الى احدى الخلوات التي قدرت انها لا تعدم لها مكانا بين شاغلاتها .. فاذا هؤلاء يتصايحن بان لا مكان ، وبان الماء الساخن نضب معينه في الحنفية فوق الجرن او كاد ، بل انهن ــ بعد ان امعن النظر فيه وهو متجرد من ملابسه جميعا ــ جعلن يستغثن بـ « فاطمة » الفتاحة من ذلك « الرجل » المقتحم عليهن خدرهن .. وقد اقبلت الفتاحة على اثر الصياح ، ولكنها ــ في الحق ــ لم تؤيدهن في اعتراضهن ما دامت المعلمة هناك على الباب قد سمحت له بالدخول ، وانما هي وقفت الى صف امه تشد من ازرها وتناصرها فليس في الحمام خلوة اخف ازدحاما من هذه .. وقد اضطرت النسوة مرغمات الى قبول امه في خلوتهن بعد ما ابدته من صلابة واصرار استنفدا هدوءها وتصبرها جميعا .

وابتدات امه في العمل .. امسكت الطاس وغرفت ماء من الجرن ساخنا دلقته على راسها وثنت على جسدها، ثم صنعت به وباخوته مثل هذا الصنيع ، تقصد ــ كما شرحت له مرة ــ الى بل اجسادهن ثم تركهم يعرقون لتسهل ازالة ما عليهم من اوساخ .

وقضت امه ساعة او يزيد ، تدعك ــ حينا ــ راسها بالصابون والبيلون والدريرة ؛ وتتناول ــ في الحين الاخر ــ واحد من اخوته وتجعله امامها ليلتف حول وسطه ساقاها ككماشة من حديد ، ثم تروح تدعك راسه بهمة ونشاط .. اما هو فقد كان يأتي الى امه بطاسات من الماء البارد يغرفها من « القسطل » الصغير في زاوية من الخلوة ويدلقها في الجرن فقد كان الماء المنساب من حلق الحنفية يتدفق ساخنا اكثر من ان تتحمله اجساداخوتهالصغار .. وقدكانتالنسوة في الخلوة يبدين سخطهن كلما دلق طاسا باردة في الجرن ، فهن حريصات على ان يصببن على اجسادهن الماء حارا مغليا كما هو فذلك ادعى الى ازالة الاوساخ .

ثم خرجت بعد ذلك امه واخوته من الخلوة الى الردهة . واوفدته الى المصطبة حيث تركوا ما يخصهم من

---

(٢) يعني بذلك اهل البلد عندنا : ان الولد لم يدخل سن البلوغ .

اشياء ، فاحضر كيس الاكل .. فجعلت امه الزاد على الكيس بعد ان افرغت محتواه ، وكان شيئا من الجبن والخيار ، وجعلوا يأكلون بشهية ونهم وقد اخوى الارهاق والحر معدهم كل الخواء . ولقد تساءل فيما بينه وبين نفسه للحظات : لم لم تحتو سفرتهم سوى هذا الزاد البسيط وقد بصر عن كثب باسرة من بنات ونساء كثيرات متحلقات حول سفرة تضم اشهى طعام : بطيخة حمراء بلون الدم ، وكبة نيئة ، وزيتونا ، ومحمرة ، ومخللا ، واشياء كثيرة اخرى ؟ .. ولكنه سرعان ما وجد الجواب المقنع : لقد كن من الاثرياء تشهد على ذلك اساور صفراء لامعة تزدهي في معاصمهن .

وبعد ان اصاب واخوته من زادهم الضئيل ما اصابوا ، دفعتهم امه الى الردهة الداخلية ، الى « بيت النار » ، وفيها تكاد تبلغ الحرارة اقصى ما يتحمله انسان . وما مكثوا سوى بعض الوقت حتى وافته امه بالكيس ، وكان جسده قد اخذ ينضح عرقا ، وبدات تقوم بعملها الذي لا يجد ما هو اكره الى نفسه منه .. كان عليه ان يجلس امامها يمد ذراعا ثم اخرى ، فتمرر الكيس الاسود الخشن على لحمه بقسوة لتنزع عنه طبقات الاوساخ كما تدعي ، وما كانت تجدي شيئا توسلاته اليها بان تخفف من قسوة الكيس اللعين يمر على جلده كالمنشار مخلفا الاثار الحمراء يحس معها كأن سربا من النمل يوسعه عضا وقرصا .. ثم يمد الى امه ساقه واخرى ، وانها لتبدي — دائما — اشمئزازها من قذارة ركبتيه وتبصق عليهما في قرف ، في حين لا يراهما هو على هذه الدرجة من القذارة .. وبعدها ينحني امامها معرضا لكيسها ظهره .. ثم يبرز صدره لينال بدوره نصيبه من ذلك الكيس القاسي .. فاذا ما انتهى من عملية « التفريك » فكأنه خارج لتوه من معركة طاحنة استنفد فيها كل قوة واصطبار .. ويجلس بعيدا عن امه التي تعيد الكرة — مجهدة — مع عيوش — ثم زينب ، واخيرا مصطفى اخيه الصغير ، اتراه يتحمل عنت كيس امه هذا !. وبعدها تفزع الى نفسها ، وقد اغتسل جسدها بالعرق اللامع الغزير يطفر من مسامها ؛ ويا لها من معركة هائلة تديرها امه بين الكيس وبين فتائل رمادية تنقشع عن جسدها المورد ، ناعمة في سحبة الكيس الاولى ، حتى اذا تردد الكيس على لحمها في رواح ومجيء زادت الفتائل عديدا وجعل يتصل بعضها ببعض ، ثم لا تلبث ان تنوء بطولها فتهوي الى مثيلاتها على بلاط الحمام وقد غدا ثمة منها كثير .

★ ★ ★

— افتح يدك .. يا مضروب ! ..

وارتد الى نفسه .. فاذا هو في قاعة الدرس ، واذا رفيقه « حسن » يعتصر قبضتيه تحت ابطيه والمعلم امامه يهز عصاه ويهيب به ان يفتح يده لينال ما تبقى من عصيه الخمس جزاء وفاقا على اهماله كتابه « الجزاء » فالوقت ضيق ، والتلاميذ المهملون فيما يبدو كثيرون .

آه .. ليته نال عصيه الخمس قبل الجميع . ولكن دوره على وشك ان يئين على كل حال .. سيسأله المعلم بعيد لحظات عن « الجزاء » عن خمس المرات درس « الخريف » ، فبم يجيبه ؟ سيقول له : « استاذ .. كنت البارحة في الحمام .. » ، فلعله يقبل منه العذر ويؤجل له « الجزاء » الى غد ، فانه سيكتبه في مساء اليوم والله .. ولكن المعلم قد يأبى تصديقه ، فكم من تلميذ مهمل كسول تعلل بمثل هذا العذر ، صادقا او كاذبا ، وما اجداه فتيلا عن العصي الخمس ومضاعفة « الجزاء » الى العشر مرات ؟.

على ان عدم كتابة مراته الخمس في الليلة الماضية لم يكن — في الحق — ابن اهمال وتقصير ... لقد كان حريصا على ان يكتبها ويستريح من عناء التفكير بهذه العصا التي لا ترحم . وكم من جزاء كتب خلال الاسابيع القليلة الماضية منذ افتتحت المدرسة ابوابها ، فقد ارهبته عصا المعلم منذ لامست كفه اول مرة وجعلت منه تلميذا مواظبا غير مقصر . وانه البارحة كان يريد ان يكتب مراته الخمس ، ولكنه اضاع في الحمام كل فراغه .. ان امه تسبب له يوم الحمام كل عناء .. لا يكفيها ان تدعك له راسه عشرة افمام وتشوي لحمه بكيسها ذاك الرهيب الذي لا يقل ارهابا عن عصا المعلم هذه ، وانما هي تدخله الى الخلوة من جديد لتسلخ جلد راسه بعشرة افمام اخرى .. ثم « تليف » له جسده جميعا بالصابون .. وانها لتصنع لاخوته هذا الصنيع ولنفسها اضعافه ؛ فالى متى ينبغي اذن ان يمكثوا في الحمام ؟

ثم انه عاد وامه واخوته الى البيت في الليل ، وكان التعب قد نال منه كل منال ؛ ولكنه حرص مع ذلك على ان يسهر حتى موهن من الليل يكتب فيه المرات الخمس . وكذلك فقد هرع الى « السحارة » التي يتخذ منها متكأ وقت مذاكرته ، واخرج المحبرة والريشة والدفتر والكتاب ، وشرع يكتب في غاية من الحماسة والتحفز .. في حين كانت امه غافلة عنه تحمل الفراش اثر الفراش وتمده على الارض ، ثم تنشر فوقه الشرشف والمخدة واللحاف .. وقد حانت منها التفاتة اليه ، وما خط بعد سوى السطر ، فاذا هي تطلق من حلقها صرخة مستوفزة وتصيح به :

— يا خنزير .. من النظافة الى الوساخة ! .. هلكت عافيتي في تغسيلك لتلوث يديك بالحبر القطران ؟ ...

ثم هجمت عليه ، وامسكت به من شعر راسه المنفوش وشدته بقسوة رعناء من خلف سحارته .. فاذا السحارة تنقلب بما عليها ، فتندلق المحبرة على السجادة.. فيجن جنون امه ، وتقذفه الى فراشه ، وتنزل به لطما وركلا وتلعن اباه وجده والمدرسة والمعلم ايضا ... ترى لو كانت ذاقت طعم عصا منذر افندي هذا الذي وزعت عليه لعناتها ، اكانت تجرؤ على شتمه ؟ .. ولم يواته النوم عندما اطفىء المصباح ، وظل مؤرقا حتى انه احس بمقدم ابيه في منتصف الليل .. ثم اخذته سنة من النوم افاق منها في الصباح الباكر مذعورا ، وتجسد له « جزاء » المعلم الذي لم يخط منه غير سطر وحيد ، وتمنى لو امكنه القيام الى سحارته يكتب والقوم نيام ، ولكن المحبرة غدت فارغة .. فبكى هامسا — اول الامر — خوفا من امه وارتهابا من عصا المعلم ، وبللت دموعه المخدة وزكمت انفه ؛ ثم ما وجد نفسه الا وهو يجار بصوت مبحوح تخنقه العبرات :

— يا امي .. دخيل الله .. الجزاء ما كتبته ...

★ ★ ★

وصحا من خواطره عندما وصل المعلم الى المقعد الذي يليه .. جعل قلبه يدق عاليا واحس بجفاف في حلقه .. انه سيقول له الحقيقة .. كان في الحمام ..

سآتي غداً

سآتي غدا ..
وأطوي المدى
لكيما أراك
حبيبي هناك ..
بعيداً .. بعيداً
ــ وراء المدى

سآتي غدا ..
على شفتيَّ
أغاني تذوب
وفي خافقيَّ
احتدامٌ رهيب !
غداً سوف يونعُ
ثغري الجديب
وراء المدى ..
غداً نلتقي !
ــ وراء السُحُبْ ..
كضوءِ الشُهُبْ
ونمضي مع الطير
عند الصَّباح
لنسكب أنغامنا
في البطاح ..
ترانيم مشحونة بالجراح ! !
غداً نلتقي !
حبيبان كالانجمِ الضاحكة
يشعَّان في الظُلمةِ الحالكة
ويغتسلان بماءِ الوجود
بعيداً .. بعيداً
يشعَّان خلف
جبالِ الجليد
وراءَ البعيد !
غداً نعتنق ..
ــ وراءَ الافُق
وقلبك يا أختُ
لن يحترق !
ولن يتوارى
وراءَ الشَفَق
غداً نلتقي
ولن نفترق ! !

الاردن — راضي صدوق

الردهة .. الخلوة ــ وجعلت تتوارد في خاطره الصور ــ بيت النار .. الجرن .. الماء .. الكيس .. العصا .. المعلمة .. المعلم ..

ــ اين الجزاء ، يا علي ؟ ..

فانتصب واقفا على ساقين واهنتين تنوءان بحمله ، وما كان امامه على الدرج سوى دفتر مغلق وكتاب .. وقال بصوت خفيض راعش وعيناه الى العصا :

ــ استاذ .. كنت .. في الحمام ..

فرماه المعلم بنظرات الارتياب ، ثم مد اصبعين في يمناه الى راسه وتحسس شعره المنفوش .. فتغيرت اذ ذاك سحنته ، وقال :

ــ اما كان بوسعك ان تكتبه بالليل ؟ .. حسنا .. ساراه في الغد ...

ومضى عنه الى وراء .

يا لله ! اهذا منذر افندي الذي يعرفه ! كم هو طيب وشفوق ! سيكتب له في الغد درس « الخريف » خمس مرات ، بل عشرا ... انه قد بات يحب منذ اللحظة منذر افندي ... ولكن عليه قبلا ان يشتري حبرا ازرق .

حلب — فاضل السباعي

اضاليل رومانسية

بقلم وليم باتون كير

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ليس هذا العنوان دقيقا كل الدقة ، فما سأتحدث عنه ليس الرومانسية نفسها ، بل عن الذين يخوضون غمار الكلام بصددها . ذلك بان كلمة (رومانس) خطرة المآخذ ، صعبة المعنى ، وقد حان الوقت للتخفيف من غلواء بعض الاغلاط التكنيكية في هذا الشأن ، بالحث على تثبيط همم من يستعملها .

وقد أشار — وليم كلبن — في مذكراته التي خصصها لسفرته السكوجية — انه يعد كلمة (تصويري) ، التي اتخذت لها طابعا شعبيا مخطئا ، بينما هي — في الواقع تعني (رومانسي) وفي هذا القصد يقول :

« وعلى الجانب الايمن من تلال بينتلاند يبرز مقعد ارثر ، وهو صخرة تشرف على ادنبره ، ولهذا المنظر ميزة خاصة ، هي اقرب الى الرومانسية منها الى التصويرية . غير ان تقربنا من ادنبره لم يسعفنا بفكرة حسنة عن ضواحي هذه المدينة وما يحيط بها . لقد سمعنا كثيرا عن هذه البقعة ، بما فيها المدينة ، اذ عدت اشهد المدن في بريطانيا — قوة في ايحاء الصور ، وبعض المشاعر ، وغالبا ما يخلط الشعب بين هذه المشاعر الرومانسية . ومع هذا ، فمقعد ارثر ، لا يزال هو الموضوع الرئيسي ، في هيئته الغريبة ، المشوهة كما كان من قبل ... والحق ان المدينة والقلعة ، في الجانب الايسر ، تصلحان بعض الخرق ، لان في عرضهما نوعا من الرضا . »

ومن هذا المثل ، نحسب ان الكاتب لم يشرح ما يعنيه بكلمة (رومانسي) ، واذن لا بد من شيء غريب عجيب يعيق خيوط الجمال الصافي المنسجم ، ويعرقل انسيابها . ولعل سدني سمث يعيننا بمثل على الارتباك الذي لمح اليه كلبن . وقد استشهد ولتر سكوت ببرهان من سدني سمث اقتطفه من المحاضرات المشهورة التي القاها في المعهد الملكي في صدد (الفلسفة الاخلاقية) .

وربما كان من الجدير بالملاحظة هنا ، ان كلبن يثني اعظم الثناء على منظر نهر تويد المنحدر من فيرنلي ، وهو المنظر الذي اعجب به سكوت ، كاعجاب اي من الناس به . وذوقه الرائق هذا بشأن الصور ، لا تعنت فيه ولا تزمت ، ولذا فهو لا يرفض الاعتراف بما يضفيه سحر التداعي من جمال على روح المناظر . ذلك بانه حر في عالم (الرومانس) حيث يجد الفيضان الخيالي الاسطوري ، وحيث يعرف ما لقوة الاغاني من سطوة على تنقل النظر . غير انه لا يستخدم كلمة الرومانسية في معانيها الملائمة لها كما نظن : لان لها — في رايه — معاني اخرى .

سيذكر كلبن مرة ثانية ، ولكني ساتركه الان ، لانتقل من مشاغل هذه المناقشة في الوقت الحالي . ثم هل لي ان اتساءل فاقول : اليس الاحياء الرومانسي ، وعصره ، قد قتلا بحثا وتنقيبا من قبل النقاد والمؤرخين ؟ نعم هذا هو الواقع الا ان « الحركة الرومانسية في الشعر الانكليزي » هي عنوان كتاب جديد بقلم ارثر سيمونز ، ينبغي لنا معرفته بصورة جيدة ، لان فيه يتناول الشاعر عددا من شعراء العهد العظيم ، بما فيهم بعض الشعراء الضعاف امثال وليم جيفور ، وروبرت بولوك ممن لم يذكروا هناك على سبيل الثناء والتقريظ ، وفي هذا المؤلف المثير للحيوية ، الباعث على الاهتمام ، لا تكاد فكرة الحركة الرومانسية تظهر ، فبعد المقدمة ، يشير المدخل الى هذه الفكرة باقتضاب هكذا :

« اظن ان كلمة « رومانسية » لا تحدد شيئا اشد وضوحا من الطفرة التي واكبت احياء الشعر ، بعد هجوده الطويل في المنفى . ذلك بان الشعراء المبرزين في كل قرن باستثناء القرن الثامن عشر كانوا رومانسيين . فمن كان تشوسر ، وشكسبير وكوليردج ، ان لم يكونوا رومانسيين؟»
ثم يستطرد المؤلف قائلا : « فما هو المقصود من جميع هذه العبارات ؟ ان ما يعنيه اسم الحركة الرومانسية ، لايتعدى بكل بساطة ، تجديد يقظة الخيال ، والاحساس بالجمال والشعور بالغرابة في الاشياء الطبيعية ، وفي دوافع الذهن ، والحواس . »

فاذا كان هذا ما تعنيه الحركة الرومانسية ، فما الذي سنفعله ، نقادا ومؤرخين ، حين نجد انفسنا جادين في البحث عن اشياء وقصائد رومانسية حقا ؟ واذن ألا يجب علينا ان نتوقف قليلا ، من اجل اللغة والمعجم ، لنقول بان الرومانسية لها معانيها الخاصة بها ؟ وسبب ذلك انها تعبير ضيق جدا لاستيعاب شكسبير وتشوسر ، وهي كذلك عاجزة عن الاحساس بالجمال والغرابة في الطبيعة ، وفي كل دوافع الذهن والحواس . ولعل من الخير ان نذكر ان توماس ورتون استعمل «الكلاسيكية» و «الرومانسية» معا في حديثه عن دانتي بقوله : « هذا خيال مدهش ، في مزيجه الكلاسيكي الرومانسي » .

وقد لحظ بايرون ان الناس بدأوا — في عهده — يتكلمون على هذين المذهبين ، كحركتين متضادتين ، وهذا ما جعله يقرأ مقالة ستاندال التي تعقد مقارنة بين راسين

وشكسبير ، لانها عدت برنامجا مهما في حقل المنافسة بين المدرستين القديمة والجديدة ، في الدراما ، حين كان النضال على اشده في فرنسا . اما الرومانسيون الفرنسيون الذين برزوا الى الوجود حوالي ١٨٢٠ ، فقد تسلموا تسميتهم المعروفة من المدرسة الرومانسية الالمانية التي لمع نجمها قبل ذلك العهد بقرن من الزمن . صحيح ان الالمان هم الذين بداوا ينشرون هذا الوبال ، ولكنهم غير ملومين ، ان كنا نحن قد اسأنا استخدام العلامة الفارقة التي وضعوها على بضاعتهم .

لقد كان « للمدرسة الرومانسية » معناها المحدد ، وتبريرها المعقول ، في المانيا اولا ، ثم في فرنسا ، ولكنها عجزت عن ان تكون « قوة انبعاثية » في هذه البلاد . وهكذا فالمدرسة التي احتضنت شليفل ، وجين بول رختر ، وتيك ، وغيرهم ممن عمل كارليل جهده لترويج ارائهم واساغتها في انكلترا ، لم تكن غير نتاج طبيعي جادت به المانيا ، حيث كان الادب بجملته مستندا الى نقد او تبعية واعية لهذا النموذج او ذاك المثل الاعلى .

ومن المعلوم ان الادب الالماني بعد ان اصاب مجدا عظيما تليدا — في عهد Minnesingers انتكس فتخلف عن سائر البلدان المسيحية ، وبذا لم ينل شيئا مذكورا من النهضتين الايطالية والفرنسية ، ولم يعرف الا النزر القليل عن بترارك ، واريوستو ، ورونسار ، ولما بدا في الانتفاض من رقدته ، في القرن السابع عشر ، اضطرته الحالة لان يتعلم فن الشعر من الاراضي المنخفضة ، وكل ما هو محتمل من فرنسا . ومن هنا ، فان استاذيه العظيمين ، لسنغ ، وغوته ، كانا ناقدين ، ومفكرين نظريين .

وهذا ما حدا بالمدرسة الرومانسية لان تتبنى نظرية جديدة ، وسياسة محدثة ، في تعلقها بكثير من المدارس الاخرى في حين كان الامر خلاف ذلك في انكلترا ، اذ ان التكيفات الخصبة المهمة ، وكذا التقليد المثمر ، تم اكمالهما في القرن السادس عشر على ايدي ويات ، وسري وسبنسر ، ومارلو ، بعد ان كانت اشكال الفن ، قد تأصلت جذورها في التقاليد ، ومن هنا لم يبق من داع لهذه المدرسة ، باعتبارها طليعة مسلحة بالادراك الذاتي في القرن التاسع عشر .. اما التسمية (رومانسية) فهي كلمة جزئية ، ليست ذات اهمية كبيرة ، في الدلالة على ما حدث حقا من بعث عظيم للخيال .

وكذا الامر في فرنسا ايام (هيرناني) تلك الايام التي لم يعش بايرون ليراها ، فقد كان فيها للكلاسيكية والرومانسية معان وشارات لم تكن لتعني شيئا في انكلترا . وهذا النضال — على ما نعلمه من مذكرات الكسندر دوماس وغيره من المؤرخين — كان معركة فعلية بالنسبة الى المسارح فمن يمكن ان نقايسه ، في انكلترا ، بالمناضلين الكلاسيكيين المدافعين عن الاسلوب الدرامي القديم في فرنسا ؟ وقد عد بايرون اسماء الذين وضع ثقته بهم ، قائلا : كان تلاميذه (١) بوب ، جونسن ، وغولد سمث ، وروجرز ، وكامبيل ، وكراب ، وجيفورد ، وماتياس ، وهيلي ، ومؤلف

(فردوس الكواعب اللعوبات) ويمكن ان نضيف الى هؤلاء اسماء ، رتشاردز ، هيبر ، رانغام ، بلاند ، هوجسون ، ميريفيل ، واخرين ممن لم يدركوا اوج الشهرة ، وذروة السمعة الحسنة »

غير ان هؤلاء لا يمكن ان يضاهوا الحزب الكلاسيكي الفرنسي ، في سوق النضال ، اذ لم يكن في انكلترا ما يشبه المعركة التي خاض غمارها فكتور هوغو بشعاره الاسباني (الى امام) سنة ١٨٣٠ واذا كان لا بد من وجود مدرسة كلاسيكية انكليزية ، فبايرون كان المدافع الرئيسي عنها : وليس يحتاج احدنا الى الاطناب في الكلام ، ليبين كيف كانت الاحوال مختلفة بين انكلترا وفرنسا .

ان اضفاء كلمة رومانسية على شعر القرن التاسع عشر تسمية رديئة لانها ، تجعلك تمعن النظر في ميزة عامة ، في حين ينبغي لك قراءة قصائد منفردة او تذكرها ، والتعرف على قوانين وجودها ، وهذه غايات لن تساعدك الرومانسية كثيرا على بلوغها . ومن ذلك يتبين لنا ان الفكرة الرومانسية تعني شيئا ، وهي حركة قد يكون من المفيد تتبع اثرها منذ بداية القرن السابع عشر . يسمي درايدن هذه الحركة : « طريقة خيالية في الكتابة » اما هردر فيقول انها : « عالم من الخرافة الجميلة » وهذا ما يمكن رؤيته في ابراج كنيسة « جميع الارواح » التي تمثل الفن الرومانسي الخاص بالقرن الثامن عشر ...

واذا لم تكن اوكسفورد المصدر الرئيسي للحركة الرومانسية ، فهي — على اي حالة — قد ادت قسطها من العون ، وكانت في ذلك سباقة متقدمة . ليس برفضها الانقطاع عن التقاليد القوطية في فن العمارة حسب ، بل بتمكنها من فتح الطريق لجني نتاج جديد من حقول قديمة في « دولة » الاداب ايضا . ومن هنا ، فالرومانسية تعني الاستذكار : وهو ذلك الشيء الذي يكثر وجوده في كتب الفروسية ، او في (اركاديا) او في (غراند سايروس) .

وهذا ما يجعل المدارس الرومانسية تعتمد دائما على الماضي ، بما فيه من حياة : « تنقضي في الجمال ، وفي نظم القوافي القديمة الرائعة » « وفي الثناء على السيدات اللواتي اختطفهن الموت ، وعلى الفرسان المحبوبين »

ومما هو مبتذل في التاريخ الادبي قولنا ان الفترة ما بين ١٧٦٠ و ١٧٧٠ هي التي صنعت كل الاختلاف ، لان فيها ظهرت (الاثار) لبرسي ، و (اوسيان) لماكفرسون و (قصائد راولي) لتشاترتن . غير اننا لا نتذكر عموما اثار الشعر القديم التي شرع بدراستها ، وغدت جاهزة للجمهور القاريء وكل الشعراء الناشئين من مدة طويلة . وليس في السلسلة اللغوية التي تنشرها دار (كلاريندن) ما يعدل في امتاعه وخفة روحه كتاب (كنيسة المسيح في السندس) ، وهو ذلك الكتاب الذي نشر سنة ١٦٩١ .

وفي ذلك الوقت لم يكن ادمون جبسن مطرانا للندن ، وقد اقتصر عمله حينئذ على الشروع في دراساته التي دفعت به في الاخير الى نشر وتحقيق (السجلات السكسونية) . وبمعونة احدى دور النشر تمكن هذا الكتاب من نشر نتف من الشعر السكوجي . اما الشرح فكان من العمق والدقة بحيث اخذ مكانه بين خيرة ما كتب عن الاداب القوطية ، والانكلوساكسونية ، والايسلندية ، واذا لم

(١) المقصود هنا تلامذة الاسلوب الدرامي القديم ، الذي امتازت به فرنسا — المترجم .

اكن مخطئا فعمله لا يفرق في شيء عما حصل عليه فرانسيوكوس جونيوس من اثر جلبه من السويد وقدمه الى (الجامعة) .

وهذه المصادر نفسها استعملت في مؤلف (هايكز) الموسوع بـ (تيسورس) الذي اعد في ذلك الوقت بالذات وهو كتاب يضم ثلاثة مجلدات ، ويحتوي على الشيء الكثير من اساس فقه اللغة الالمانية . وفي هذا المزيج الواسع وضع هايكز القصيدة الايسلندية (سيف انكانتير) مباشرة بعد القصيدة الانكلوساكسونية (نضال فنسبرغ) . وتجد في القصيدة الاولى البطلة ــ وهي تتضرع بالقرب من ضريح والدها ، ليعطيها السيف (تايرفنغ) ذلك السيف الملعون الذي لا غالب له ، كما انك تجد سر الغبش المسكون ورعبه ، بين عالمي الموت والحياة ، واكثر من هذا انك تلقى التوكيد على الارادة الانسانية ، والاهواء المختلفة ، وروح الشرف الرفيع .

غير ان هذه القطعة لم تترك في مكانها في (تيسورس) هايكز ، اذ انها انتزعت من مصدرها بصورة وحشية ، وطبعت طبعة جديدة في احد مجلدات كتاب درايدن المعنون بـ (مختارات شعرية) ثم ترجم برسي القصيدة بعدئذ ، واستخدمها لويس في وضع قصة تتحدث عن العجائب . اما (سيف انكانتير) فقد ادمجها الكونت دوليل في مجموعته الشعرية (قصائد بربرية) . وكما قلت سابقا بعد طبع هذه الآثار وبخاصة هذه القصيدة الساحرة من اهم الجهود التي قدمتها الجامعة في فقه اللغة ، وذلك منذ مائتي سنة .

ثم اني لن اطيل الحديث في الدراسات التي قام بها وورتون عن العصور الوسيطة ، فما صنعه من اجل التاريخ والتحقيق العلمي وما تناوله من بحوث شيقة جديدة عن سبنسر ملتون ، كل هذه الامور معترف بها ، مستساغة في المحافل الادبية . ولا ريب في ان وورتون مدين ــ في سمعته الطيبة هذه ــ الى والده توماس وورتون الكبير ، الذي تربع على كرسي الشعر قبله ، كما انه مدين الى اخيه جوزف ، ومع ان الاخير لم يتذوق كثيرا مجالي الاستكشاف في (الرومانس) القديم ، الا ان احكامه الرزينة الصائبة في الشعر الحديث ، اعطت له مكانة ممتازة . ومع توماس وورتون ، اخذت حركة الاحياء الرومانسية بالمسير ، حتى اعترف بها الدكتور جونسن كحركة ذات خطر واستفزاز واستنفار فقال :

« اينما وجهت نظري ، رايت شيئا غريبا ، دون ان يكون هناك شيء جديد »

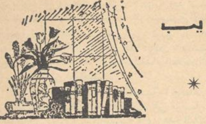
« عمل مجهد طوال اليوم ، عمل لا نهاية له ، فكيف يصيبه الخطأ ؟ »

« لقد اطار الزمن كثيرا من العبارات ، فتناثرت كلمات واهنات في غبار المعركة »

« ووقعت في الحبالة القديمة ... هكذا سقطت الاغاني والمراثي والمدائح »

وسبب ذلك ان جونسن اثير من قبل وورتون ، لمغالاته في الثناء على الشعر الانكليزي القديم . ومع ذلك فان جونسون ووورتون كانا صديقين حميمين ، وهنا يمكن ان نتخيلهما في بعض مسيرهما من اوكسفورد الى ايلسفيلد

الاديب



✱

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ديناران او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١. دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دنانير او ٢. دولارا كحد ادنى

✱

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✱

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc. : 23819 Dle. : 25139

✱

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

حيث يسرع ورتون ، فلا يكاد جونسون يلحق به حتى يناديه قائلا (لا تضع في عنقك ما يخفف سيرك)

وليس من خطر في فقه اللغة في العصور الوسيطة ما يهدد الذهن الكلاسيكي . فتوماس رايمر الذي يعد اكثر نقاد شكسبير سخفا وحذلقة ، واشد المدافعين عن الوحدات الدرامية، هذا الرجل نفسه كان من الرواد الاوائل، في دراسة شعر (البروفنسال) القديم ، من اجل انكلترا .
وايا ما كان الامر ، يصح القول ان هذا الكاتب كان يمكن ان يبعث على الاستحسان والسرور ، لو انه تمكن من الاستزادة من الاتباع ، في وقت مبكر ، واستطاع اكتشاف الجمال الكامن في الشعر الغنائي (البروفنسالي) الذي انبثق منه الشعر الحديث ، وكل ذلك لكي يدرك تفاهة منظومات بيرنار دي فينتادورن، ذلك بان شعراء البروفنسال يحق لهم المفاخرة بثقة بنتاجهم ، الذي يمكنك اختباره ، باي مستوى صعب تشاء .

وهنا ، في الواقع ، عملت يد الخرافة الرومانسية ، بكل ما في قدرتها من اجل انزال افدح الضرر . وكلما فرضت المنافسة بين الكلاسيكية والرومانسية سطوتها على الذهن ، ازداد قارىء الشعر المختص بالقرون الوسطى في تفكيره الرومانسي ورأى في المؤلفين الذين يدرسهم رجالا يحسنون صناعة لطيفة ، على وفق قافية ، اكل عليها الدهر وشرب .

ومما لا يتعذر علينا فعله ان نجد اغنيتين او ثلاث اغنيات (بروفنسالية) في القرن الثاني عشر ، في كمال الانسجام والوزن ، وتمام الدقة الشاعرية ، على وفق الفن الذي احتذاه غري او وردزورث ، اذ يكفي قليل من التذوق الصادق للشعر الكلاسيكي ، ويسير من الدراسة المستقصية للعصور الوسطى، لنكثر من الاستمتاع بالاغاني البروفنسالية والالمانية ، قبل عصر دانتي وبيترارك باجيال واجيال .
وابرز مثل على ذلك اديسون في تناوله لحكاية Chevy Chase اذ ان ذلك يدل على مقدار ما يمكن انجازه ، لو توفر البحث في كنوز الشعر القديم .

وحين نتكلم على البعث الرومانسي ، لا بد من تذكر هذه القطعة الرائعة ، وكيف قرا اديسون هذا الاثر القديم ، واطرى عليه جزيل الاطراء ، لميزته الكلاسيكية ، واخلاصه، وتناسبه ، وكيف استخدم هذه الخريدة من اجل تهديد فنانينا القوطيين التافهين ، والسخرية بهم ، وما كان هؤلاء غير شعراء صغار منتفخي الاوداج ، في حينه . وقبل هذا الوقت بائني عشر عاما ، اتانا درايدن بمثل اخر ، في (مقدمة الخرافات) ان دل على شيء فعلى التمييز المستقل، وذلك عندما اثنى ثناء عطرا على تشوسر لصدق خياله، ولام (اوفيد) لتزويقاته التافهة .

واذن ، فقد كان للحركة الرومانسية وجودها ، قبل القرن الثامن عشر ، وليس من العمل الممل في شيء اقتفاء اثرها . صحيح انها لا تنبع من فقه اللغة بمجموعها ، ولا تنحدر باسرها من العصور الوسيطة ، اذ بعضها ياتينا من جزائر (هيبريدز) ثم لا يقف الامر عند هذا الحد ، اذ يخرج علينا رجل من سوسيكس فيكتب اغنية عن (خرافات المرتفعات) . وهكذا فهذه الجزائر لا تنطق الا شعرا ... ومن ذلك ان ملتون يتحدث في (لسيداس) قائلا :

« ربما كنت وراء هبريديز القاصفة الجانحة ، ولعلك تحت الموج الطاغي ، المتنمر » .

« في زيارتك لقاع العالم الوحشي المرعب »

ثم تناول تومسن هذه الفكرة في (قلعة الكسل) التي تعد بحق اكثر القصائد نقاوة وصفاء ، وقد جاءت الوجود قبل « النوتي العتيق » وفيها يقول تومسن :

« او كراع من جزائر هبريديز ، اخذ مكانه بعيدا في احضان البحر الكالح »

وبعد ذلك اقبل كولنز ب (اغنيته) ، وقد كان من الخير العميم لو تعلم الخيال الحديث شيئا كثيرا من (سكاري) او (يورا) لان اساطير الجزائر الغربية عن الجن ليست زائفة ، كالقصص الاسطورية الادبية التقليدية . ثم ان شكسبير نفسه مسئول ، بسبب درايتن وهريك ، عن كثير من التفاهة الاصطناعية في مملكة اوبيرون ، لان مثل هذه الزركشة تختلف كل الاختلاف عما في واقع الامر من رزانة ، وهدوء ، ففي هذه الملكة من الخيرات والكنوز المطمورة ، والمناطق البديعة ، ما يجعل التعبير عنها طبيعيا لا تكلف فيه .

اما تومسن في (قلعة الكسل) وكولنز في (اغنيته) فقد هربا من التقاليد الادبية التي تعنى بالجن الانيس ، والارواح الانيقة . ومع هذا ، فان الثاني لا يتمكن من النجاة دائما ، لان في احسن قصيدة له كثيرا من الجنيات النائمات بين الازاهير والورود . ولا شيء ادل على تقدم الحركة الرومانسية ، وخلاص الخيال الشعري الصادق من الخطر من المقطوعة التي انتزعها كولنز من قصيدته (اغنية المساء) وهذه هي :

« ثم دعني اتجول في المروج الخضر البرية، او اتركني لاجد شيئا من الخراب بين الوهاد »

« التي تحدها حيطان تهتز مرعوبة باشعتك الدينية الوهاجة »

[كتب الشاعر هذه المقطوعة في سنة ١٧٤٧ ، ثم استبدلها بالقطعة الاتي ذكرها في عام ١٧٤٨] (١)

« وانت ، ايتها الراهبة الهادئة خذي بيدي الى البحيرة الساجية الناصعة التي تؤنس وحدة المرج » .

« او الى كومة الصخور التي قدسها الزمن ، او الى الصفصاف السامق الذي يعكس اضواء البحيرة الهادئة »

وفي هذه الطبعة الثانية تشخيص « للراهبة » استقاه الشاعر من قصيدة ملتون المسماة (ماسك) هذا بالاضافة الى الرؤيا المستحدثة ، والفهم العميق لتأثير صفحة الماء في الغبش ، حين تكون الارض مظلمة داكنة ، ثم تامل في الخراب المرتجف الخائف ، الذي يحل محله بناء قد يكون حصنا او كنيسة قديمة ، ترى من بعيد في ضياء المساء الشاحب ، الموازي لسفح التل الكبير . فاذا ما نظرت في هذا كله لوجدت الماء ينساب غرب «الصخور المقدسة» . يقدم الشاعر هذا باسره في كلمات قلائل ، من غير غرور ، ولا الحاح على دقة المعاني . وهنا تتلاشى الخرافة الرومانسية ، ليشغل مكانها ضرب جديد من الرؤيا الشاعرية .

---

(١) من كلام المترجم

وتقدم الشعر في القرن الثامن عشر ، شأنه في وقتنا الحاضر ، لا يمكن ضبطه بتأثيرات قد تدعى رومانسية او ضدها . قد تكون الرومانسية او الكلاسيكية تعني عادات يتبناها الجمهور القارىء او النقد المتحذلق ، غير ان امل الشعر لا يتحقق الا في الاذهان الطرية الحرة في اختيار السبل التي تريدها . اما ظلام القرن الثامن عشر النسبي ، وفقره بالقياس الى غنى القرن الذي تلاه ، فلم يكونا عائدين الى برنامج ، او طراز معين وكل ما هنالك من خلاف ،حدث على اثر ولادة اطفال اثنين او ثلاثة ، في مبكر العقد السابع من هذا القرن وهؤلاء هم وردزورث وسكوت وكوليرج ، واخرون جاءوا الى الوجود بعدهم بقليل ، وهم بايرون وشيللي وكيتس

ولا يعزى نجاح هؤلاء الشعراء الى موجة فكرية عامة لان فطنهم كان يمكن ان تفوز بالمراد مهما تعدد طابع عصرهم . وعبارة الاحياء الرومانسي ، وغيرها من التعابير لها نفعها الخاص في التاريخ الثقافي العام ، و « التطورات النموذجية » ولكنها لن تمنعك من فهم ما كان يفكر فيه وليم وردزورث حين كتب (اغنية الواجب) او (قصيدة على ضريح روب روي) وما تملك ذهن شيللي حين استحضر مأساة « السنسي » .

وفي هذه الكلية برزشاعر من شعرائنا ، يدعى الدكتور ادوار ينغ ، ومع انه ليس من الشعراء المجيدين ، الا انه استطاع في سنته الخامسة والسبعين كتابة قطعة ارشادية صالحة للمغامرين الناشئين في حقل الشعر ، فتألف من ذلك كله مقالة رائعة الاسلوب ، صائبة الحكم ، على ما اظن وجهت على شكل رسالة الى مؤلف (سيرتشالس غرانديسن) ، وهو ذلك الكتاب الذي ظهر الى حيز الوجود سنة ١٧٥٩ ، وقد اضافت هذه الرسالة ـ في الواقع ـ شيئا طريفا الى تلك السنة الرائعة ـ سنة كويبك ومندن ، وغيرها من الانتصارات ، سنة مقالة غولدسمث المسماة « الحالة الراهنة للثقافة المهذبة في اوربا » التي فيها يعبر الكاتب عن الانحلال والوبال اللذين اصابا اوربا .

ثم نظم ينغ « قصيدة عن اليوم الاخير » فيها من السخف مواضع تتجاوز كل ما كتب عن (السخرية) وهي ذلك الموضوع الخطير ، ذو الشأن الكبير ، ومن هنا فهي لا تصلح في شيء للمقارنة بما نظم بوب . اما زانكا ، فقد احتل في (الثأر) مكان الصدارة التي يستحقها في المسرح ، ومع انه تقمص شخصية (ياغو) فمقدة المسرحية اكثر بساطة وتأثيرا مما فعله شكسبير بهذه الشخصية ، واقرب الى الجهد المركز الذي بذله فكتور هوغو .

ثم جاءت «افكار الليل» وهي نتاج عمل لانسان تقدمت به السن كثيرا ، انسان لا زال قادرا على استيعاب التجارب الجديدة ،وتحمل مشاقها ، ومع هذا فشعره فيه طراوة لا تشبه التقاليد الملتونية (١) التي سادت في القرن الثامن عشر ، ولا تماثل نبرة « الفصول » لتومسن ، لانها اشد جفافا ،وامعن نظرا ،واقصاها تجوالا في مناحي الحياة والموت واكثرها مساسا بالشخصية . اما رسالة ينغ في الانشاء الاصيل ، فلم تعن في شيء بتأييد منهجه الفعال ، لانها استقصاء حو لحالة الشعر ، ودعوة جديدة للعمل المبدع ، من اجل الشعر القصصي غير المزوق ، والماساة التي تنبض بالحياة . وهذه ظاهرة بارزة بالنسبة الى رجل عجوز ، يكتب في مثل هذه السن .

صحيح ان ينغ ، لا يقدم لنا وصفة معينة ، ولا يرشدنا الى ما ينبغي عمله ، هذا اذا استثنينا نقده لاستخدام القافية لدى بوب في شعر الملاحم ، وهذه ملاحظة غريبة ، اذا قورنت بكره غولدسمت للشعر الحر على ما ذهب اليه في رأيه عن الشعر الانكليزي ، وعلى ما وجده من دمار حاق بهذا الشعر بالذات حتى قال « ان الضمان الاصطناعي في اغانينا ، يعود بالدرجة الاولى الى انسياب شعرنا الحر غير الموزون » ذلك بان الكاتب لايحب الارشاد والمرشدين .

وكل ما يقوله ينغ لا يتعدى الابتعاد عن التقليد ، والتمسك بالاصالة ، والشخصية الذاتية . قد يكون ينغ قاسيا على درايدن ، غير ان ما يذهب اليه فيه كثير من النصيحة البناءة ،فيما لو نحن استثنينا شهرة درايدن ، وهاك ما قاله بهذا الشأن :

« لدرايدن طاقة عظيمة عامة ، اما العبقرية ـ بمعانيها العامة ـ فليست من شيء له وجوده في الطبيعة ، لان العبقرية ان عنت شيئا فلا تعني غير اشعة الذهن في حالة تركيزها ، وتصميمها على تحقيق هدف معين ، اما حين تتفرق هذه الاشعة ، فان الضعف يصيبها ، وتخمد نار حماستها ، فتذوب متلاشية ، مع القلب الذي انبثقت منه . » وانا أعد هذا وجميع كتاب « الانشاء الاصيل » رفضا لاي منهج ، او فرض ، او تعليم او قاعدة او تأثير او مذهب الا ما يختاره الشاعر حين يتجه بذهنه الى عمله .

والملاحظة الوحيدة التي اريد التوكيد عليها ، هي السبب الوحيد الذي دفع بالكاتب الى روح التفاؤل ، اسمعه يكتب الى مؤلف « سير تشارلس غراندين » فيقول له : (خضع احد اصدقائي الى آمر آسر ، [ليستخدم موهبته استخداما اصيلا] وبعبقرية اخلاقية او اصلية ، تمكن من طرد الارواح الشريرة ، واعاد الى احضان الفضيلة اصنافا من الاساليب الانشائية كانت يوما من اعداء هذه الفضيلة) .

اما صديقة رتشادسن ، فقد ارجع القصة الى سبيل الهدى ، ولعل بعض الفضل في ذلك يعود الى روح العصر ، لان القاصين كانوا اسوة حسنة للشعراء ، فقد اروهم مصداق الاغنية القديمة القائلة : « فيك من القوة ما تستطيع نيل ما لم تره » ثم جاء العصر الجديد ، وفيه كان ينغ يكتب ، في السنة التي ولد فيها برنز .

ولا شك في ان استخدام النقاد والمؤرخين لاسم الرومانسية ، اربك دراسة الشعر فهم قد جعلوا من الصعوبة بمكان مسك زمام ما هو متلاش هوائي منذ زمان ، واعني بذلك تلك الازهار الغريبة ، ازهار الشعر ، التي تبدو نامية من غير تربة وبخاصة تلك الاغاني المعروفة بـ Ballads وطبيعي ان في هذا اذى شديدا لان مثل هذه الاغنيات لا تحتمل مبضع النقد (٢) . . .

يوسف عبد المسيح ثروة

بعقوبة ـ العراق

---

(١) بالنسبة الى الشاعر الشهير جون ملتون ـ المترجم

(٢) من كلام المترجم

الوجود خطيئة

هتفت تتمتم وهي حانقة ... والشيب في الفودين يبتسم
قالت لعمر الحق ليس لنا ... من دهرنا منجى ومعتصم
أموالنا نهب لمقتسم ... وشبابنا كالظل ينصرم
نسعى وما نجني سوى سغب ... يا سوء ما نجني ونقتسم
والعمر غايته الى هرم ... ومآلنا النسيان والعدم
صدق الألى بمزاعم سلفت ... اذ أسرفوا بالشك واتهموا
زعموا الوجود خطيئة كبرت ... يا صدق ما قالوا وما زعموا

نظرت اليَّ وملء مقلتها ... دمع على الخدين منسجم
ومضت تكاتم ما يساورها ... من غصة كالنار تضطرم
قالت أكل حقيقة عرضت ... حلم وكل سعادة ندم
جئنا على كره وليس لنا ... علم بما يجري به القلم
والموت آخر ما تطالعنا ... فيه الرواية حين تختتم
صدق الألى بمزاعم سلفت ... اذ أسرفوا بالشك واتهموا
زعموا الوجود خطيئة كبرت ... يا صدق ما قالوا وما زعموا

ورنت اليَّ تسير في جزع ... والشمس نحو الغرب تنهزم
والليل خلف الأفق متشح ... بسواده ابداً وملتثم
قالت أحتم ما نكابده ... من ريب دهر حلوه الألم
ما يترك الانسان من خلف ... يبقى ومحصول الجهاد دم
ميراثنا الآلام نحملها ... ووساوس في الصدر تلتطم
صدق الألى بمزاعم سلفت ... اذ أسرفوا بالشك واتهموا
زعموا الوجود خطيئة كبرت ... يا صدق ما قالوا وما زعموا

فعطفت أهمس وهي حائرة ... في مهمه عصفت به التهم
قلت الحياة على تقلبها ... مرموقة ترجى وترتسم
آلامها كانت محببة ... وعذابها ما أوجعت نعم
تنعين قبح الليل ناسية ... آفاقه بالشهب تنتظم
والعين من رمد اذا عشيت ... تستقبح الدنيا وتتهم
كذب الألى بمزاعم سلفت ... اذ أسرفوا بالشك واتهموا
ليس الوجود خطيئة كبرت ... يا سوء ما قالوا وما زعموا

دمشق ... عدنان مردم بك

قصة قصيرة

سنتان.. وتحترق الغابة

بقلم سعيد حورانية

✳

بعد بكرة السحب ... يا استاذ.. خمسين الف ليرة !!..

ـ يحرق ...

وتوقفت عن السب والشتم فجاة، وحدقت الى العينين .. يا الهي .. الثالثة، الثالثة التي تكلم عنها طويلا البارحة، وهو يشرب الشاي بنهم ويتلمظ بشفتيه الغليظتين، ويبسم عن اسنانه الصفر المسودة .. انها تشبههما لدرجة فوتوغرافية .

كانت عيناها تبتسمان بكثير من الكآبة والتعب والنعاس، وتكاد تغيم منهما المرئيات المتراقصة في البؤبؤين الاخضرين العميقين اللذين لا حد لجمالهما .

وهزت اوراق اليانصيب في وجهي مرة ثانية، وتاكدت للتو انها لا تراني ولا تتميز سماتي مطلقا في ذاكرتها.. انها امام زبون قد يشتري او لا يشتري، قد ينهرها او يبتسم في وجهها، والقلق الوحيد الجدي الذي ينتابها، كان من خادم المقهى عدو البائعين المتجولين الاول .

ـ بعد بكرة السحب يا استاذ .. خمسين الف ليرة !!..

ونظرت الى صدرها .. كان امسح اعجف، صدر ابنة في الحادية عشرة من عمرها، وتصورت نهدا يشب، وقواما يلتف، وعينين تداعبان بنظرة اغراء .. يا حلوتي .. يا صديقتي الصغيرة .. هل ستفعلين انت الاخرى نفس الشيء ؟ لقد عرفت هذه النظرة المتعبة الحزينة من قبل، عرفتها على وجهين في مثل هذا الجمال، منذ المرة الاولى انطبعت خضرة العيون في ذاكرتي عندما اختفت عني في الوجه الاول اختفاء طويلا .. قد يكون الى الابد، ثم ظهرت مرة ثانية صافية متالقة بكآبة متعبة في وجه اخر، له عين التقاطيع والاهداب، وبنفس القسوة اختفت من محيط المقهى، الى دنيا اخرى .. ترى كيف حال خضرة تلك العيون الان ؟ ولمن تبتسمان ؟ والان .. العينان .. النظرة .. الوجه .. الصدر الامسح ذو المستقبل.. الردفان اللذان يبرزان شيئا فشيئا لياخذا نصيبا من نظر الرجال .

ـ بعد بكرة الـ ...

وانفتحت الحدقتان في دهشة يسيرة، وصفت الخضرة في اعماق البؤبؤين مرجا مجهولا ظليلا . وبان شيء من التعلثم والخجل .

قلت لها باسما باسى :

ـ قربي يا حلوة .. اسمك فاطمة؟

ـ اي استاذ .

واعترتني غصة .. كم اتمنى ان ارسل نظرة خالصة السعادة الى هاتين البحيرتين !!..

ـ بعت كثيرا اليوم يا شاطرة ؟

ـ عشرة بس ـ من الصبح ؟

ـ من الصبح .

تحركت رجلاها بارتباك عندما نظرت الى اسمالها .

ـ عرفتيني ؟

هزت راسها باسمة .

ـ لماذا لا تاتين مع ابيك تشربين الشاي ؟

ـ لا ياخذني !!..

ـ هل طلبت منه ذلك ؟

ـ لا .. انا لا اراه الا الصبح والظهر والمسا .. والباقي اكون في الشغل .

ـ هاتي ورقة.. لا ليست هذه.. اختاري انت واحدة .. ايوه من المنتصف .. ان شاء الله على حظك اربح وسنتقاسم .. آ ؟

ابتسمت في سعادة وتنفست بهدوء وانا ارقب الغابة تصفو في رواء ربيعي اسر .

ـ قولي لي يا فاطمة اختك فين ؟ وتعكرت البحيرتان برهة وتلفت الراس الصغير حواليه :

ـ خديجة ام سعاد ؟

ـ ها ... اختان اذن ... اين الاثنتان ؟

ـ لا اعرف ـ بذمتك

ـ وحياة النبي لا اعرف

ـ سالت اباك ؟

ـ اي قال انهما رجعتا الى فلسطين

ـ بس ؟

ـ قال انهما تزوجتا هناك

ـ اتحبينهما ؟

ـ سعاد بس ... خديجة كانت تضربني وتسب ابي وتبكي دائما .

ـ موفقة يا حبيبتي ... الله يسهل لك .. لكن يجب ان ترجعي للبيت الان تاخر الوقت ... آ ؟

ـ تاخرت كثير .. لكن لم ابع خمس عشرة ورقة .. يجب ان لا اعود حتى ابيع خمس عشرة ورقة .

ـ هل ينتظرك ابوك عندما ترجعين؟

ـ لا .. الاقيه نائما .

ـ الا تخافين الرجوع وحدك في الظلام ؟

وسكتت قليلا واعتراها الخجل، ونظرت من خلال الزجاج الى الليل المظلم .

ـ تخافين ؟ ـ اخاف كثيرا .

وتندت العينان قليلا وبان فيهما الاجهاد .

ـ تشربين شاي الان ؟

ـ لا ...

وخفضت راسها

ـ سلمي لي على الوالد .

ـ الله يسلمك .

وابتعدت نشيطة بعض الشيء، كانما حرك فيها الحديث، الطفولة الراقدة في اعماقها، وتهالكت على مقعدي احاول ان اقرا الصحيفة مرة ثانية ... يا طفلتي .. واشعلت سيجارة .. هل ستذهبين انت ايضا وتختبين ؟ هل سيقول ابوك لمن

سيسأله عنك ذهبت الى فلسطين.. الى الضفة الشرقية من الاردن وتزوجت هناك .

وتصورت الدرب الطويل الى حي الميدان .. الى بوابة الله ، من يعلم ؟ قد توفر الفرنك فلا تركب في الترام ، وتقطعه ماشية ، يخيفها كل عمود كهرباء او ضوء سيارة .. حتى اذا وصلت دخلت الغرفة القذرة المختنقة برائحة الدخان النوع خامس، وتستلقي الى جوار ابيها وتنام نوما بلا احلام .. تاركة الغابة الخضراء مظلمة بدون اية رؤى ضاحكة الاسنان

ـ بعد بكرة السحب . خمسين الف ليرة

وهمس صوت قريب مني

ـ شايفين هالبنت ؟ تمام .. آ ؟ لها مستقبل .

وانفلتت ضحكة بليدة قاسية مع ضرب الاحجار على النرد .

ـ سننتظرها سيدي ... ممكن تفلت ؟ ..

ـ شايف ها العيون ؟

ـ اخجل يا زلمة .. العمى .. طفلة .

ـ لتشوف بكرة انسانيتك لما تكبر .

* * *

اشعلت سيجارة اخرى ... وتراءت لي الشفتان الفليظتان المبتسمتان عن الاسنان الصفر المسودة وهما ترشفان الشاي .

ـ اتعرف يا سيد سليم ؟ قال ... والله لا يرجعنا الفلمنك ... اساسا اذا رجعت ماذا اشتغل ؟ كنت حمالا في صفد ... والان لم يبق في الذراع قوة .. لا استطيع ان اعول نفسي ... لا نفع يرجى مني بعد

وقلت له مشجعا :

ـ ولكن كيف كنت تعول بناتك وامراتك وولدك ؟

ـ اتركها لله يا زلمه .. كانت ايام عظيمه .. ابك على الشباب بس.. كنت اسحب يوميا سبعين قرشا فلسطينيا .. ليرة .. وفي بعض الايام الطيبة ليرة ونصف .. احمل.. اساعد الدهانين ، اعمل بناء .. ابيع خضرة .. اشوي كستنا .. سبعت الكارات .. ميت الف شغله .. كنت اشتغل بحماسة عظيمة ، وكانت بناتي في المدارس ، ولما ولدت ام ابراهيم الصغير ابراهيم ، كنت جامعا عشر ليرات صرفتها كلها في الفرح واستدنت فوقها .. اما الان فلمن اشتغل ؟ انكسر ضهري من وقت وقوعي من على السلم .. صرت لا انفع لسوى بعض الاعمال شوفة عينك

ـ توكل بالله يا رجل ... انت لا تزال قويا ... و...

فيشير الي بيده مقاطعا :

ـ سيدي بلاش ضحك عاللحى.. ولولا هالبنية ... فاطمة ... حلوتي فاطمة هل تعرفها ؟ لرميت حالي من اعلى بلكون وخلصت .. فيه شاي ؟

ـ فيه !! ..

وتلمظ الشفتان ، وتستروح الخياشيم المتسعة رائحة التبغ الغالي.

ـ طلعنا طلعة ... الله لا يريك ..

قالوا اليهود هجموا !! كل من يستطيع الرحيل فليرحل .. وحصلت طوشة وهوسة ، كيف ؟ الصبح كان ... ماذا صار .. لك شو الخبر ؟ وتذكرنا ما قاله لنا النازحون الينا ... وحملنا يا سيدي ما خف وغلا .. تفوه وميت تفوه .. أتعرف (صفد) ؟

ـ لا .. ذهبت الى يافا والقدس فقط .

ـ صفد يا سيدي عالية في السما .. وفوق هضبة مثل الحصن لو تركونا ندافع عن انفسنا ، لظللنا نقاتل خمس سنين ، وحياتك ما يدخل فيها كلب صهيوني .. تفوه.. اي بلا طول سيرة عليك طلعنا طلعة لا تسر صديقا .. في عز الليل والبرد والمطر .. ولم يكن هناك طريق سوى طريق وادي الطواحين. وادي الطواحين الذي لا نستطيع النزول منه بالنهار ، فكيف بالليل ونحن حاملون المتاع وترتقص ارجلنا من الذعر وتغوص في الوحل ونتزحلق على المنحدرات. وقع من وقع الى اسفل الوادي حيث مزقته الصخور .. مشينا .. ام ابراهيم تحمل ابننا الصغير ابراهيم ، وانا احمل فاطمة ... حلوتي فاطمة ما غيرها .. كان عمرها سنتين ونصف بس .. وكانت ابنتاي تتبعاننا باكيات، وفجاة صرخت ام ابراهيم صرخة اماتتني من الرعب ، وجحظت عيناها، نعم رأيت وجهها برغم الظلام على ضوء فانوس شتوي يحمله جارنا ابو عبدو .. ثم رمت ما تحمله على الارض بقوة ، ولم اسمع صوت الرضيع يبكي ، واندفعت راجعة وهي تركض وتصرخ كالمجانين .. وبعد لحظة ، وبعد لحظة يا سيدي تدحرجت من اعلى الجبل الى اسفل الوادي ... فيه شاي ؟

ـ فيه ...

مسح جبينه في عصبيه وسكت قليلا واخذ ينقر باصابعه بخفة على المقعد .

ـ لا ازال اتذكرها الى الان ، كتلة سوداء داكنة تثير في انحدارها الاحجار والصخور .. والصرخات الهلعة تنبعث من على يميني وشمالي. كان اللاجئون يفسحون الطريق امامها حتى لا تجرفهم .. وانزلت فاطمة وقعدت على الارض ابكي واغطي عيني .. في لحظة واحدة افقد بيتي وبلدتي وزوجتي .. و ... التفت جزعا نحو ابراهيم الذي القته من يدها .. وركضت اليه .. واخذت احملق في الظلام لاتعرف عليه ... اتعرف ماذا كان هذا الشيء الملقى على الارض يا سيد سليم ؟ كان صرة ثياب ظنتها المسكينة ام ابراهيم في لهوجتها وذعرها ... ابننا الحبيب ابراهيم .

* * *

ـ خمسين الف ليرة بعد بكرة السحب ..

كانت فاطمة لما تبع الاربع ورقات الباقية بعد ، ولا تزال تتنقل في المقهى متعبة كئيبة تقف امام الطاولات طويلا وترد على المازحات بتقطيبة الفتها . وتصورتها باكية بين يدي ابيها وهو يتلمس طريقه في الوادي الرهيب ، واختيها من ورائه تتمسكان به ، وتحاولان ان تطردا الظلمة المسيطرة وترفعا ارجلهما من الوحل . وبدت لي من بعيد تحمل في اعماقها سرا مجهولا لمأساة اليمة ، اسئلة حائرة عن حياة لا تعرف لماذا تعيش فيها وتحتمل ثمنها ، ثمن المشي طول النهار وتنفس الدخان الرديء ...

وتدانت اربعة رؤوس على الطاولة المجاورة ، وقال احد الرؤوس بصوت ابح :

ـ شايفين بياعة اليانصيب الحلوة هذه ؟

والتفت الاخرون صوب فاطمة

متفحصين

هل تعرفون اختيها ؟

وعلا الوجوه الاهتمام والترقب .

ـ تشتغلان عند لوريس ...

جميلتان مثل النعجة ولكن غاليتان .

ـ هي ؟ الصغيرة ؟

ـ اي سيدي

ـ يا ما فيه بالدنيا

ـ وماذا تفكر .. سنتين زمان ثلاث وشوف هي كمان ! ! ..

ـ يا حرام ..

ـ لكن هي ادهش .. تطلع اليها مليح .. مفتخرة تبلع بلعا .

ـ يا حرام على هالجمال يا ضيعته ! ! ..

ـ اختاها لا تخرجان مطلقا ، وستذهبان كما علمت الى حلب في الاسبوع القادم ...

ـ ولكن ها المسكينة تعرفهما ؟

ـ ما اظن

ـ اسألها

ـ خطية ... حرام .. تقوم توصل الخبر لاهلها .. ما حدا بيعرف شو بصير ! ! ..

وبدت لي طلعة ابي ابراهيم الداكنة ونظرته التي انطفأ فيها بريق قديم رائع ، وتذكرت خيبة الامل والحيرة اللتين استقبل بهما اختفاء سعاد ، لقد كانت هي الاخرى تبيع من قبل اوراق اليانصيب ، وتسمع نفس التعليقات .. ويوما ما مزقت الاوراق التي في يديها واختفت مخلفة وراءها اعينا دامعة اطبق جفونها العار .

ـ ماذا استطيع ان اقدم لها يا سيد سليم ؟ نحن جيران ونعرف بعضنا ، هل اعرف الان اي مكان في الارض تأوي اليه ؟ قد تكون هربت مع رجل وتزوجته (وتنحنح ورفع راسه بصعوبة من يلم بقايا ثقته بنفسه وكرامته) لقد ربيتها جيدا ، لست خائفا عليها .. قد تقول نام على الضيم ، قد تقول ان زوجها خالف الاصول بعدم استشارتي ، قد تقول يجب ان اقلب الدنيا بحثا عنها .. ولكن لنفرض انني ارجعتها .. هل اقتلها؟ هل اذبحها لكونها ارادت ان تأكل لاول مرة حتى الشبع ؟ هل تبقى في البيت قعيدة تنظر الي في الصبح والضهر والمسا .. انا افهم تماما لست سوى رجل اعرج لا نفع يرجى منه يأكل من كد بناته .

وعندما اختفت خديجة كاد يدركه الجنون ... استدان مني عشر ليرات اجرة الغرفة ، وبدا لي اقصر قامة واشد عرجا ، واخذ يسعل بشكل متواصل ، ويقضي اكثر الامسيات عندي يتناول الشاي ويدخن السجائر ، وكان يخجل دائما ان يأتي معه بفاطمة .

ـ شو العمل ؟ لعنة الله على خلفة البنات .. عار وذل وبهدلة ، لو كان لي ولد يشيلني .. لو ظل ابراهيم الى الان ! !

ويصمت دامع العينين ويحدق الى بركة الماء

ـ لم يبق لي سوى فاطمة .. حلوتي فاطمة .. انها سند شيبتي .

ـ ستظل لك .. انها ابنة عاقلة .

ـ القدر بيد الله يا سيد سليم ، من يدري ؟ . لقد اردت ان يخطبها من الان احد اللاجئين ، فلم يرض احد .. معلومك ... الانذال يقولون اشياء كثيرة عن بناتي ... ولكني واثق منهما .. لن اصدق ما يقولون ولو رايتهما بعيني .. انا متأكد انهما تزوجتا .. لقد ربيتهما جيدا .

ويصمت قليلا ويتنهد

ـ ساجن حتما اذا ذهبت .. وساضرب بطني بسكين حتى ارى امعائي بعيني .. تصور يا سيد سليم ... فاطمة.. حلوتي فاطمة..

اخذت اتابعها وهي تدور بين الزبائن ... سنتان ثانيتان ، سنتان ثانيتان يا رب ، سنتان وينهد الثديان في صدرها الامسح ، ويلتف الردفان في استعلاء ... والعينان الخضراوان .. الغابة الصباحية .. ستعرفان زقزقة العصافير ، ومناقير الشواهين ، وسيختفي هذا الوجه من المقهى كما اختفت اختان لها من قبل ، وهذا الجيد الصغير ستأخذه اذرع قوية قاسية تدفع ثمن كل المباهج التي تحرم منها الان ... السينما .. الحلويات التي تقف امامها طويلا كل يوم .. الثياب البراقة .. السيارات الفخمة .

وسيرن معصماها بالذهب ، ويبرق جيدها باللالىء ... وثغرها الطفل ستشققه الحمرة الداعرة .. كل شيء يروق لها ستفعله ، ولكن البحيرة المسحورة سيمتصها التراب الابرش ، والنظرة الظليلة في اعماق عينيها الرائعتين ، سيطفئها حريق الغابة ذات الاوراق الندية .

عندما عدت في منتصف الليل الى البيت ، كنت اتطلع الى القدمين الصغيرتين وهما تحاولان ان تسايرا خطواتي .. ونظرت الى اخر الزقاق المظلم متوقعا ان ارى ابا ابراهيم سهران قلقا لتأخر ابنته ، ولكن غرفته كانت سوداء كالليل المحيط بها ، ومن خلال النافذة المفتوحة كان يتعالى شخيره الرتيب . استدرت اليها قائلا :

ـ يجب ان لا تتأخري يا فاطمة بعد الان ... ؟ ؟

ـ ولكن يجب ان ابيع ...

ـ دعي قصة البيع والشراء هذه ابوك يقلق وانت تخافين بالليل .. ارجعي دوما الساعة تسعة ...

فهزت راسها وادركت انها لن تفعل شيئا مما اقول :

ـ اذا تأخرت في المدينة .. ابحثي عني في قهوة (الهافانا) وانا اوصلك ..

ـ يكتر خيرك

ـ تصبحي على خير يا حبيبتي ، سلمي لي كثيرا على الوالد

ودخلت البيت منسابة بخفة ، وانتظرت لحظات علي اسمع ردفعل التأخر على ابي ابراهيم ، ولكني لم اسمع سوى همهمة مبهمة ، ثم ساد السكون لقد نام الاثنان .

لتنم هانئا يا صديقي .. تمتع بضم الجسد الصغير اليك وشم الشعر المجعد .. لم يبق امامك طويل وقت تضيعه بالسهر والقلق ، وشرب الشاي والدخان ، من يدري ماذا سوف يتغير في عالمك الفقير بعد سنتين ؟ ترى هل ساجد الغرفة مطفأة عندما اعود كل يوم ام سأراك واقفا تنهب الدرب بعينيك الكابيتين حتى يبتسم عنها ؟ وهل ستسبقك الى العمل في الصباح ، كالعادة ، ام انك ستقف ويدك على قلبك ، تودع الصدر الناهد والقوام الملتف باشفاق قائلا بصوتك الخشن المهموس المبلل بالعطف والعبادة :

هل جاء دورك انت ايضا .... يا حلوتي ؟

دمشق سعيد حورانية

رسالة حب

٥

اميرة قلبي :

تحية شوق على بعدنا

وبعد :

أجل وصلتني الرسالة ، واني اكلت الحروف بعيني ، وقد كان ظني تماما ، بأنك ما قد تعمدت صدى ، وأنك ما زلت نبعي ووردي •• واني علمت بأنك ما زلت أنت ، تحبينني مثل اول ليلة ، وأني ما زال لي بعض سحر ، وان القمر يضيء بكوتي •• أجل قد أكلت الحروف بعيني •• واني قرأت الرسالة ، وأغلقت بابي عليَّ ، مخافة ان يبصر الاهل وجهي يموج انفعالا •• أجل قد قرأت الرسالة ، وكانت تضيء هلالا ، وأبصر في الاحرف الصامتة، أحاديث حب •• واني علمت بأنك أنتِ ، وأني ما زلتُ هـذا الفتىٰ ، وأني ما زلتُ شيئا لديكِ •

اميرة عمري :

تراخيت فوق سريري مليا ، ورحت أفكـر في بيتنا ، وأنا سنبنيه من حبنـا ، وفي ضحكـة الشمس تغمره •• وفي نظرة منك تسعده ، فتملأ كل جدار حياة ، وأشعر ان الجدر تشاوى كقلبي ، وفكرت فيمن لنـا تنجبين ، وما سوف يصدر مني ، وقد تتشاجر ، وفيمـا سنأكل في كل يوم •• وفيما سيكتب لي فوق نجمي•• وفكرت لكم شعاعا بعيني تحدر ، واذ بي فوق سريري ، واني ضربت يدي بجيبي ، وأخرجتها مثلما دخلت ، وقمت لابحث لي عن وظيفة ، وأمي تبخـرني ببخور ، فمـن مستكه ، وجاوى وشبَّة ، « وربك يسدد طريقك » ، واني ضحكت سذاجاتها مثل حبي حلوة ، واني خرجت وعدت وقد كاد يبدو القمر ، ولا مستقر ، واني علمت بأن القدر له ألف حائط أقيم بوجهـي •• ولكنـني سوف أهدمه •• بعينيك أهدم كل الصعاب ، فما دمت لي سوف أهدم كل الصعاب ، وما دام لي كل هذا الشباب •

اميرة حلمي :

غدا تتلاقى بنفس المكـان ، اذا دقت الخامسـة ، بسور الحديقة ، فاني فقير ، ولست الامير لادخلها ، وان كنتِ انت أميرة، وأنت الجديرة بقلب أمير•• أجل سوف نجلس قرب الحديقة ، وسوف نحدث بعضا عن الطقس والاغنيات ، وعن انجريد برجمان ، وعن زوجة قتلت زوجها ، وعن كل شيء وليس هوانـا •• فان حديث الهوى في العيون •• واني سأعرف ما سيكون ، فلمس الايادي ، وايماءة الرأس في كل حين ، وفي بسمة حلوة قد تطير ، واننا •• أجل قد نصير ، ولسنا هنا ، قـرب سور الحديقة ، وأننا بدنيا طليقة ، وأننا العصافير قرب النجوم ، وعند السماء تحوم، وأن هوانا يدوم•• ولكن، أجل سنفيق بدقـات ساعـة ، وسوف يحـين الاياب ، وسوف نعود ، لكي نفترق ، وقد نتواعد ، ليوم أخير ، لوقت قصير •

اميرة قلبي :

أجل وابعثي لي برد ، فاني أحب رسائلك الواردة ، فان شوقي كبير ، واني ادفىء قلبي بمدفأة الكلمات ، فلا تبخلي بالرسائل ، فأنت ملاذي الاخير ، فليس هنا مـا أعيش له ، وأحيا له ، فكوني الكبير الكبير ، خلا مـن مكان صغير ، لوقع خطاي عليه ، فكوني أنت مكـاني الكبير •

سأسقط هذي الرسالة ، وسوف أعود لكي مـا أنام ، فاني لاشعر اني تعب ، ولكن غدا عندما تتلاقـى سأشعر اني قوي ، وأني كمثل حصان ، وأني سأهزم كل الصعاب ، فما دمت لي ، وما دام لي كل هذا الشباب •

غدا تتلاقى ، وقد اشتـري يا أميرة قلبـي ببضع قروش ، عقودا من الفل قد اشتري ، واني سأسمع مـا قد فعلتِ لكي تشتري لابيك الدواء ، وهل ظل يسعل في يومه •

وعند الختام ، تحيات قلبي وما زلت لك •

القـاهرة — **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

نسيت وكنت اود اقول ، سأحضر عند لقانا كتابا لبيرون ، لتقـرا منه اذا ما التقينا ، سآخذه من صديقة ، وسوف ارد الكتاب اذا مـا افترقنا .. وشكرا .

ملاحم رأس شمرا

بقلم محمد حاج حسين

*

هل رضي الموت ، (١) وطابت نفسه ، اثر الفاجعة ، التي مني بها خصمه العنيف بعل ، الذي اصبح شريدا ، بلا ماوى ؟ انهارت اعصاب بعل ، لهذه المصيبة ، التي حرمته القصر ، ومنعته ان يخطر في حجراته ، ليستمتع بالقدرة ، التي اتيحت للالهة ، في حكم هذا العالم .

ان الموت لم يرتو من بعل ، فهو يود ان يتابع انتقامه المريع ، حتى النهاية ، فلن تسكن له جائشة ، حتى يرى بعل ، مترسبا في دمه ، راقدا في حفرة عميقة ، وقد انطفات به شعلة الحياة .

ففي ذات يوم ، خرج بعل ، الى السهل الفياح ، وحيدا مهموما ، وبينما كان يقتلع الاعشاب ، انتصب امامه منظر مخيف ، اقشعر منه بدنه ، لاول وهلة ، ولكنه ما لبث ان تمالك جاشه ، وانتعشت روحه بانطلاقة قوية ، مبعثها الجراة ، التي اتصف بها ... لقد راى بعل امامه ، اثنين من المفترسين الضاريين ، وقد كانت هيئتهما تدفع الروع الى الصدور ، فعلى جبهتيهما ، تنتصب قرون كالثيران ، وظهراهما يشابهان ظهر الجاموس ، ولكن وجهيهما كالوجه الانساني ، نفس وجه بعل ، مما خيل للاله الشاب ، انهما صديقان ... وحق له ان يخطىء ، لان هذه المخلوقات المفترسة ، قد جاءت هذه الدنيا ، من غرام عنيف بين آل ، واحدى خادمات زوجه اشهارات ، التي وقع عليها كبير الالهة بشهية ، ولما بان عليها الحمل طردها من لدنه الى الصحراء ، حيث وضعت هذين المخلوقين المخيفين ، اللذين تعرضا لبعل ، الذي كان يمرح في صيده .

ونشبت المعركة ، حمراء ، بين بعل وهذين المفترسين ، واضطرم اوارها بسرعة ، وبدا النصر حليف بعل ، فقد جندل عدويه ، وطرحهما ارضا ، وراح يتشفى بضربهما برجله ، ليفرج عن الغضب الكريه ، الذي احتدم به ، لتعرضهما له ... وانكب عليهما ، يثخن فيهما ضربا وجيعا ، ولكن المفترسين استردا قوتهما بسرعة ، ووثبا كالاعاصير المشبوبة ، واجتاحا بعل ، والقياه على الارض ، لا يستطيع حراكا كالثور المقيد . لقد هوى اله الارض ، امام هذين الفحلين الضاريين ، كانه قربان مقدس ، يقدم للالهة ، كما يفعلون بالثور ، عندما يقتلونه زلفى الى الاله الاكبر .

وتمتم بعل ، بضع كلمات متقطعة ، وهو يخر تحت ضربات عدويه ، وفاه بصلاة قصيرة بخشوع ، متوجها الى ملك العدالة آل الاله الاكبر .. فقد وضح له في حشرجته الاخيرة ، ان اباه آل ، قد كتب عليه الفناء ، لان الموت ، لم يكن سوى الاداة ، التي ارسلها الاله الاكبر ، ليستل روحه . وشهق شهقة مخيفة ، وطارت روحه الى عالم الفناء ، وهو يرنو الى هذه الارض ، وفي قلبه حسرة لا تموت .

تزاحمت الهموم ، على أنات ، وهي تستحضر بذهنها اخاها بعل ، الذي لم ترافقه في رحلته الى الصحراء ليصطاد ، وغصها شجن بليغ ، بعد ان امتدت غيبة بعل ، وطال سكوته ، وتلمسته في كل مكان ، فلم تجده ، فانكفات على نفسها ، ممرورة ، تتساءل بمرارة: اين هذا الاخ الحبيب ، الذي طال غيابه وسكوته ؟ انها لا تلذ الحياة ، الا اذا استمتعت بمرآه البهي . وتقاذفتها لجج من القلق الدائم ، ونهضت ، تلهبها عزيمة جبارة ، تبحث عن اخيها ، في كل مكان . لقد اجتازت السهول ، واخترقت بطون الاودية ، وارتقت ذرى الجبال ، حتى اهتدت الى جثمانه المخضب بالدماء ، فالتاعت وارتاعت ، ودون ان تأتي بحركة تعبر بها عن حزنها الفاتك ، اسرعت بالذهاب الى ابيها والحزن الصامت يأكلها .. وبدا على آل انه لم يسمع بالفاجعة ، او على الاقل ، يتظاهر بعدم معرفتها . ولما بصرت به صرخت من قلب كليم : « لقد مات بعل .. ان سيد الارض قد توارى عنها . تعال معي ، لترى ذلك الذي كان جمال الارض ، وهو الان يرقد على بساط الموت ، في السهل الرحيب ، المطلول بدمائه الزكية . »

هبط الاله الاكبر ، عن عرشه ، ونزل درجة درجة ، وكان يضعف في كل خطوة يخطوها ، بل كان يجلس ، على كل درجة وهو ينحدر منها .. واخيرا انتهى من هبوط سلم العرش ، وجلس على الارض ، ليأخذ بيده التراب ، ويحثوه على راسه ، علامة على الجزع الذي هده ، على موت بعل ، في شرخ شبابه .

وعند ذلك ، ذرفت انات الدموع ، تعبر بها عن اساها المرمض ، الذي انحدر الى اعماقها ، لقد كانت دموعها صادقة ، ندت من قلبها اللهيف ، ووجدت في تذرافها تسرية عما يضطرم ، في جوانحها ، من لاعج الاسى . ان حزنها على بعل ، لا حد له ، ومن المحال ، أن يسكت هذا الاجيج الذي يحرق كبدها ، التي مزقتها الفاجعة ، وقد رزحت تحت وقرها . ان انات ، كانت ترتوي من دموعها ، كأنها تشرب الخمرة ، التي تسكرها .. بيد انها ، من خلال هذا الضباب الصفيق ، الذي كان يدف عليها ، كانت تستروح املا ، يخفف عنها ، هذه البلوى الجائحة .

لم تكن انات وحدها فريسة لهذا الحزن القاتل ، فقد كانت آلهة الشمس ، « شابسه » بقربها ، تشاطرها المها ، وتذرف الدمع ، على بعل مثلها ، وهي مستعدة لمساعدتها . واستدارت انات ، تخاطب ربة الشمس قائلة : ضعي على كتفي جسد بعل .

وبصعوبة ، حملت انات جسد الاله الذبيح ، حتى ذروة الجبل ، الذي كان منذ مدة ، مكان القصر الباذخ ، الذي شيد لبعل ، ليستقر فيه ، ويمارس حكمه ، كسائر الالهة ، ولكن وآسفاه ، لم يستمتع به ، وها هو الان ، ينقل اليه ، جثة لا حراك بها .

دفنت انات بعل ، وقدمت على ضريحه ، قربانا ضخما ، ليساعد أخاها الفقيد ، ان يحيا حياة بطيئة ، خلال الاشهر الطويلة ، التي سيقضيها في اعماق الارض . لقد كان القربان الضخم ، مؤلفا من سبعين جاموسا ، وسبعين ثورا ، وسبعين خروفا ، وسبعين غزالا ، وسبعين جديا ، وسبعين حمارا .. وعددها عشرون واربعماية حيوانا ، كلها ذبحت على هذا القبر الطاهر ، الذي ضم في لحده ، جسد بعل ... لقد كان هذا القربان ، اضخم قربان قدم لاله .

وبعد ان انتهت انات ، من دفن بعل ، ذهبت فورا الى

---

(١) راجع عدد اغسطس الماضي من الاديب والاعداد التي تليه .

ابيها آل ، في ملكوته ، ووجدت بقربه اشهارات ، ام الاله ، وقالت لهما ، واللوعة تنعقد على اساريرها : لقد انتهى الامر ، ودفن بعل ، في ريق فتوته ، ماسوفا عليه ، وهو الان ، يقيم في رمسه ، الذي اهيل عليه التراب . واحسرتاه عليك يا سيد الارض ، ونور العالم ، ورجاء البشر . اما حرام أن يذوى الشباب ، وينطفىء الامل وتذبل المنى ؟ ان بعل ، سيد الارض ، قد عدا عليه الموت الكريه ، فطمست معالم الحياة في جسده الريان .. واحسرتاه ، ان جمرة حزني ، لن تنطفىء ، ودموعي لن تجف ، واساي سيظل عارما ، ما دام نفس يتردد في صدري .. فابكي يا انات ، واذرفي الدمع الغالي ، على سيد العالم ، الراقد في عزلته البعيدة .. ابكي يا انات ، وحق لك البكاء ، على هذا المصير المحزون ، الذي آل اليه ، بعل ، اخي ومهوى فؤادي .

ولجات الى الصمت هنيهة ، وقد طفحت عيونها باليأس ، وغلغلت نظراتها في الافق البعيد ، كانها تستعيد الاوقات الحلوة ، التي كانت خلالها ، بقرب بعل ، تبثه الحنين ، وتزقه العطف ، وتبادله اسمى عاطفة في الوجود .. واحسرتاه ، لقد انهارت كل هذه الاحلام المشعشعة ، التي كانت تسبغ عليها العطر والحب .

ونظر آل الى زوجه اشهارات وبسرعة قال لها : « يا ام الالهة .. لقد مات بعل ، وانتهى امره ، والارض بحاجة الى سيد يحكمها ، ويزينها ، فاختاري احد ابنائك ، ليحل مكانه ، ويقوم بمهمته » .

وفكرت اشهارات ، ثم هتفت : « ان ابني ، الذي سيخلف بعل ، في حكمه ، يجب ان يتحلى بعلم ، لم يكن يملكه بعل . »

واحتدم الجدل بين آل واشهارات ، وتباينت الآراء ، ولج النقاش ، ثم استقر الراي ، على اختيار الاله عشتار .

ولما علم عشتار ، أن الاختيار وقع عليه ، ليخلف بعل ، في حكم الارض اجاب باقتضاب . انه موافق على اداء هذه المهمة ، التي انيطت به ، وسيجلس على عرش بعل ، الذي اصبح خاليا بعد وفاة ربه .

وعندما اعتلى عشتار العرش ، امر فورا بتوزيع كؤوس مليئة ، على الحضور ابتهاجا ، بهذه المناسبة السعيدة فقد خفقت جوانحه طربا لها . ولكن ما هو مصير عشتار في سياق هذه الملحمة الرائعة ؟ .. لا ندري شيئا ، لان القطع الشعرية ، القادمة تتجاهله ، ولا تتحدث عنه .

ان اتباع انات المخلصين ، المؤمنين بها ، قد تأكد لديهم ، ان موت بعل ليس حقيقيا ، فهو قد تظاهر بالموت لانه في كل عام يتوارى ، وبعد ستة اشهر يعود الى هذه الدنيا . ومع هذا كانت انات وعبادها ، يتوجسون خيفة اخر الشتاء ، على عودة بعل .. ففي اخر كل عام ، يتساءلون : هل هو نهاية العالم ، وفناء الدنيا ؟ او ان الكارثة الماحقة ستتاخر ، او بالاحرى ، لن تحدث ... ولمن يعود الفضل في هذا الا لانات ؟

ان بعث بعل الى الحياة ثانية ، ليس بالامر الهين ، ولن يجدي البكاء والعويل ، بل يجب متابعة قاتليه او ملاحقة ذلك ، الذي نصب له الشراك ، على الاقل ، للاقتصاص منه ، والثار لدم بعل المطلول .

وتذهب انات الى الموت ، وعندما تراه ، تصرخ في وجهه : « اعد الي اخي بعل » . وتبدو الدهشة على الموت ، عندما يسمع هذه العبارة ويقول : « ماذا تطلبين مني » ؟ ونظر اليها ، نظرة نفاذة ، ذات معنى عميق ، كانه يقول لها : « هل انا مكلف بحراسة اخيك » ؟ فهو يريد ان يتظاهر بالبراءة ، من الفاجعة التي حاقت ببعل . انه يتخذ مظهر البراءة الناصعة ، ليوهم انات ، انه بريء من دم بعل .

لم تكن انات بالسذاجة ، التي توهمها الموت ، فهي على يقين ، انه سبب الفاجعة التي ألمت باخيها . ولم يعد هناك ، مجال للمحاورة والمداورة ، فالموت مجرم ، ويجب ان ينال قصاصا رادعا ، جزاء وفاقا ، لما اجترح من فواجع قتلت بعل .

وهجمت انات ، بكل ما اوتيت من بأس وقوة على الموت ، وضربته بمنجل عضب ، فقدته قسمين ، ثم حرقت جسده الهامد ، وطحنته بحجري رحى ضخمين ، والقت برماده ، الى العصافير ، يقتاتون به .. وهكذا ظهر ان الموت نفسه ، يموت كبعل .

ان هذا المقطع الشعري من الملحمة ، هام جدا لانه يظهر لنا طبيعة الموت ، والرمز الذي يومىء اليه ، فانات التي تقده قسمين بمنجلها ، ثم تطحنه ... يدلنا ، على ان سكان « اوغريت » كانوا يرمزون باله الموت ، رغم اتخاذه هيئة الانسان ، الى القمح ، الذي يقطعونه ويطحنونه ، ليعملوا منه الخبز ، الوسيلة الفعالة في الحياة .

ان الموت ، يبدو في هذا الصدد ، كأنه اله الصيف ، فالذين يحرثون الارض ويزرعونها ، ويحصدونها ، لا يمكن ان يصلوا الى الخبز ، الا اذا اتقنوا هذه العمليات المتتابعة ، وبرعوا في حصد السنابل وقطعها ، براعة فائقة ، ليتسنى لهم ، ان يصلوا الى الخبز ، الذي هو اكسير الحياة . فالحياة تنبثق من الموت ، والموت يتلاقى مع الحياة . وكلاهما يترافقان ويتلازمان ، فالحبة لا تنمو ولا تحيا ولا تنبثق ولا تمتد ، محملة بالغذاء الا اذا دفنت وماتت .

لقد مات بعل ، ودفنته انات بيديها . والموت خر مضرجا بدمه ، تحت ضربات انات ، ولفظ انفاسه ، وتوارى عن هذه الارض ، بيد ان الموقف ، لا يستطيع ان يظل هكذا طويلا ، فالعالم لا يستطيع ان يمكث طويلا ، محروما من سيديه : بعل وموت .

وتسري البشرى ، في كل مكان ، بان بعل ، سيولد من جديد ، وانالارض ستفيض بالمطر والانهار ستمتلىء بالعسل . وكان آل ، اول من ارتاح ، لهذا النبأ فشملته المسرة . فقد كان اول من جزع على موته ، واتشح لاجله ، بثياب الحداد . ولما ترامى اليه الخبر ، بعودة بعل الى الحياة ، كان كدابه متربعا على عرشه ، فطفت عليه الفرحة وانطلق يضحك ، من اعماقه ، مبتهجا بهذه النتيجة السعيدة ، وصرخ : اريد ان استريح . ونفس الحياة ، يتردد الان قويا في صدري ، لان بعل اصبح حيا . . وسيد الارض ارتدت اليه الحياة .

وهكذا يستطيع آل ، ان يستريح ، فان غيبة بعل ، قد اوقرته بتعب ممض ، واناءت كاهله بمشقات ، لم يستطع حملها .. رغم انه ، ندب عشتار ، ليقوم بهذه المهمة الصعبة في هذا العالم الجياش .. ويبدو ان عشتار ، لم يستطع ان ينهض باعباء بعل ، مما ارهق آل ، ولهذا داعبه السرور ، عندما ازيح ، عن كاهله العبء ، وبعث بعل .

وبعل اصبح حيا .. والخبر ببعثه ، اصبح يخفق على كل شفة ولسان ، ويضطرب في كل جنان ، ويتردد في كل مكان .. ولكن ، وآسفاه ، لم يستطع احد ان يرى بعل ، فعم الجزع الجميع ، وبان القلق على الملامح ، وتساءل الكل بلهفة ، عن مكان بعل ، سيد الارض ، وجمالها الشعاع .. ما معنى هذه الغيبة ، بعد ان بعث وعاد ثانية الى الحياة ؟

وارسل آل الهة الشمس ، لتبحث عن بعل .. ومما لا شك فيه ان « نور الالهة » تستطيع احسن ، من الجميع التفتيش ، عن سيد الارض ، وستعرف المكان ، الذي يتوارى فيه ، وستعود به الى الارض .. والمقطوعات الشعرية الاخيرة لا تفصح عن الطريقة التي توصلت بها الهة الشمس الى بعل . وهكذا تنتهي هذه الملحمة الشامخة ، دون ان نعرف ، كيف يعود بعل ، ثانية الى الارض ، وكيف يستقبل بالحماسة الفياضة ، المنتظرة .

ان بعل ، يرمز للحياة ، التي تولد وتتجدد وفي كل ربيع ، وتتفتح في الصيف ، لتتلاشى في الخريف .. فبعل هو حياة النبات والاشجار ، التي هي قوام حياة الناس والحيوان ، والالهة نفسها ، لان الالهة ، لا تستطيع البقاء ، اذا لم يقدم لها البشر الغذاء . وكيف يتسنى للناس ، اطعام الالهة ، الا بلحم الحيوان ؟ وكيف يقدمون لها الشراب الا من دم الكرمة ؟

لماذا تذهب الايام الجميلة بسرعة ؟ ولماذا لا يدوم النبات سوى اشهر قليلة ؟ ولماذا لا تنتج الارض طول العام الاشياء الضرورية لحياة الناس ؟ هذه هي الاسئلة التي تتردد .. وجوابها ان آل ، اب الالهة ، لم يرد غير هذا ، والموت نفسه ، لم يشذ عن هذه القاعدة .. وهكذا اتفق آل والموت ، منذ الازل ، ان بعل ، رغم كونه ابن اله ، والها بنفس الوقت ، يجب الا يكون خالدا ، او بالاحرى ، ان خلوده يجب ان يكون في فترات معينة من السنة .

ومن الضروري ، وحالة بعل سريعة العطب ، ان يكون بحاجة لمساعد يعضده ، ويشد أزره ، وهذه المساعدة ، جاءت عن طريق اخته وحبيبته انات ، التي هي قوة الطبيعة نفسها ، وروح العالم . وهي كي تصل الى هدفها ، لا تتراجع امام شيء ، ولن تحجم عن ابادة شعب كامل ، اذا اعترض غايتها ، وانات ، لا يعنيها الا ان تصل الى هدفها المرجو ، وهو راحة العالم .

طرطوس ــ سوريا **محمد حاج حسين**

نحن

✳

هنا نحن .. في ضفّة المنحدرْ
نُبرعمُ في السفح احلامَنا
لنا النهرُ نغمره بالخرير ..
ونمرح اجنحةً من صباح
ويرشف منّا خيالُ الصبا
ونحن من الصحْو فوق العيون
حملنا على مِحْجَرينا الضياء
وسرنا .. نُفجّر في كل دربٍ

على ضلع اغنيةٍ من قمرْ
وأنغامنا ، وهوانا الاغر
لنا المرجُ تُمرعه بالثمر
ونمرح اجنحةً من سَمَر
وزهْوُ الهوى ، وحنانُ الوتر
وفوق القلوب ربيعُ نضِر
وفي راحتينا نعيم البشر
حنيناً ، وأمنيةً ، وسَحَر

حلب **علي الزيبق**

قصـة عراقيـة

البطل العظيم

بقلم مير بصري

✳

ـ الى القتال ، الى النضال ! هلموا ، ايها الابطال . هل من مبارز ، هل من مناجز ؟ . . .

سمعنا الصوت الحماسي الجهير يجلجل من وراء الدهاليز ونحن ندخل باب دار التمثيل ، فعرفنا صديقنا الممثل « روضـان » يستذكر دوره استعدادا لتمثيل المساء .

ودخلنا الى القاعة ، فرأينا صاحبنا يلوح بسيفه في الفضاء متحديا الاشباح والعفاريت ، ويوالي اطلاق عباراته الحماسية كالمدفع في الميدان . ولم يسع الممثل ، وقد تواصلت ضحكاتنا ، الا ان يسكت متبرما . والتفت الينا اخيرا وقال :

« ما جاء بكم الي في هذه الساعة ؟ ان التمثيل يبدأ بعد برهة ، وهذه الرواية تعرض لاول مرة ، واخشى ان انسى الكلمات الرائعة المتدفقة التي وضعها المؤلف في فمي او اسهو عن الحركات الفنية البارعة التي لقنني اياها مدير المسرح ، فاسقط سقوطا مريعا . . . »

قلنا : « الا زلت تمثل دور البطل الصنديد والفارس المغوار ومتى نراك تمثل دورا هادئا لطيفا ؟ »

فوضع سيفه وترسه جانبا ورفع المغفر الذي يثقل راسه ، وقال : « تبا لهذه الادوار الحماسية التي فرضت علي فرضا ! فانا طورا عطيل وتارة عنتر او ابو زيد الهلالي ، ولم يبق بطل عالمي من اخيل حتى صلاح الدين الايوبي الا تقمصته وشخصته . لعلكم لا تصدقون ، ولكنني قد ضقت ذرعا بهذه الادوار ، فلا يغرنكم جسمي البدين ومنكبي العبل وصوتي الذي يهز السماوات والارضين ، فانا رجل رقيق القلب ، شجي النفس ، مشبوب العاطفة . ولكم خانني جاشي في المواقف الحماسية حتى ليتلعثم لساني ويخفق جناني واحسب ان الارض تسيخ بي من هول الساعة . هل رايتموني امثل دور سيرانو دي برجراك ذي الانف اللعين ؟ ثقوا انني كلما بلغت فصل المبارزة ، حين اهاجم على خصمي فاقطع عليه السبل بسيفي اللامع وامطره بوابل تهكمي اللاذع ، لم البث ان ترتعش يدي ويتلجلج لساني خشية ان اؤذي غريمي بغير قصد ، وهو يجري امامي كالفأر الهارب من القط الغضبان . . . »

ـ احقا ما تقول ، ايها الصديق ؟ ان هناك دورا حماسيا يليق بك كل اللياقة ، وهو دور البطلة القديسة جان دارك ، فلم لا يسند اليك ؟

فصاح روضان : « كفى سخرية وهزءا ، فدور جان دارك أخلق بي واجدر من جميع الادوار التي مثلتها في حياتي الفنية : فلي تعصبها للمبدأ لا احيد عنه ، وروح التضحية التي كانت تتسم بها وشرر العزم الذي كان يقدح من عينيها ، وفي وسعي ان امثلها اصدق التمثيل ، ولو ان جسمي ضعف جسم الفتاة التي يروي لنا التاريخ سيرتها . »

ولما انتهى التمثيل في تلك الليلة اصررنا على مرافقة روضان الى داره لنشهد رواية من نوع اخر ، رواية تقرن الفاجعة بالهزل بخلاف الرواية الحماسية التي مثلها قبل هنيهة على المسرح . ومن الانصاف القول ان صاحبنا لم يكن بطل الرواية الجديدة بل كان ضحيتها الخانعة الذليلة .

كان روضان الممثل الحماسي يشبه سقراط من ناحية واحدة : فقد كان له مثل الفيلسوف اليوناني زوجة دميمة سيئة الخلق لا تعيره اهتماما ولا ترعى له حرمة . فلم نصل مع روضان الى منعطف الشارع الذي تقوم فيه داره حتى تهدل شارباه وانقبضت اساريره كالعقاب الذي يتمخر العاصفة .

واسرع الخطو بعد ان حاول ان يثنينا عن مرافقته ، لكننا تبعناه حتى بلغ الدار . ولم يكد يدير المفتاح ويدفع الباب حتى تلقفه سيل من الشتم والتقريع . ودوى صوت المراة تزمجر كاللبوءة الهائجة ، تصب اللعنة على زوجها ، وتنحي عليه باللائمة لاهماله لشأنها وعودته متاخرا في الليالي مع رفاق السوء ، واحترافه اهون الحرف واقلها شرفا وربحا ، والرجل واقف مبهور الانفاس لا يتحرك ولا ينبس ببنت شفة ، حتى اذا جذبته جذبا وقذفت به الى داخل المسكن ، انطلقنا لا نلوي على شيء ، والصوت المجلجل يملأ اسماعنا في سكون الليل .

لقد كنا نعرف ماساة صديقنا البيتية وناسي لها ، لكنه كان يهز كتفيه استخفافا كلما حدثناه بحديثها ويقول : « ان هذا ايضا من الادوار التي فرضت علي فرضا لا استطيع لها دفعا كالادوار الحماسية التي اتولاها في دار التمثيل . »

وفي ذات يوم قررنا ، نحن اصدقاء

الممثل المسكين ، ان نسعى لانقاذه على الرغم منه ، فذهبنا وفدا الى داره في غيابه وطلبنا مقابلة السيدة المصون .

قالت : « انتم رفاق السوء الذين احدقتم بزوجي اللعين واسقطتموه الى الحضيض وتعلقتم به كالحجر الذي يمنع الغريق من الارتفاع الى سطح الماء ؟ »

وكان الموقف حرجا ، فتركنا مهمة القول الى رافع الدبلوماسي اللبق الذي عمل سنين طويلة ساعيا في وزارة الخارجية .

قال رافع : « انك ، يا سيدتي المحترمة، قد فهت بالصواب ، ونحن لم نجيء الا لنبلغك بعزمنا على الانفضاض عنه ليستطيع ان يحيا حياة شريفة شأن الازواج الطيبين . »

قالت : « وهل سيترك هذه المهنة الخسيسة التي لا خير فيها ويعمل عمل الازواج الطيبين ؟ »

وكدت افتح فمي فاقول ان التمثيل من الفنون الجميلة التي امتهنها الشرفاء في مختلف الازمنة والبقاع ، واذكر اسم شكسبير وموليير والعدد العديد من الممثلين العظماء الذين انعم عليهم ملوك الانكليز بالقاب الفروسية الرفيعة ، لكن الله قد رأف بعباده فسبقني رافع الى الجواب ، وقال :

« انك على حق ، يا سيدتي ، ولكن ماذا تريدينه ان يعمل ليكون اهلا لعفوك ورضاك ؟ »

قالت : « لا يهمني ما يعمله ما دام يترك التمثيل وينصرف عن رفاق السوء ومعاقرة الخمر وسهر الليالي ... »

وحسبنا اننا قد شخصنا الداء ووجدنا الدواء ، وذهبنا الى صاحبنا « روضان » لنضمن له السعادة العائلية التي كان مستهينا بها ، زاهدا فيها . ولم يكن سهلا ان نقنعه بقبول شروط زوجته المحترمة والانصياع لرغباتها ، لكننا وفقنا لايجاد وظيفة شريفة له في بعض الدوائر الرسمية ، فاغرته بترك التمثيل الذي لم يكن يدر عليه ايرادا مذكورا . ولم يلبث صاحبنا ان اصبح موظفا مرموقا وزوجا مثاليا . وعمل السحر عمله ، فاذا المراة قد برت في كلمتها ، واذا بها قد ريضت شكيمتها وقصر لسانها ، وغدت تلك الزوجة الشرسة تحنو على زوجها و لاتبخل عنيه بالعطف والمودة .

ومر الزمن . وكنا نلتقي بروضان خلسة في اوقات متباعدة ، لكن كنا نشعر انه لم يكن سعيدا . لقد فقد البشاشة وروح المرح وعدم المبالاة التي كان يتحلى بها حين كان يحيا حياته البوهيمية بين المراسح والملاهي . وقلنا له ذات يوم :

« انك تحن الى الفن الذي حرمته مذ قبلت الوظيفة وتركت التمثيل . »

ـ انا احب التمثيل ، ولا ريب ، غير انني في الحقيقة لم آنس الى ادوار البطولة التي كانت تفرض علي .

ـ اذن ما سبب الكآبة التي تلازمك؟ هل افتقدت حياة الحرية والسهر والتجوال بين المقاهي والملاهي وضقت ذرعا بحياتك الراتبة الجديدة ؟

ـ انني رجل هادىء بطبعي ، وقد وجدت في حياتي الجديدة كل ما اصبو اليه من راحة وهناء بال .

وزفر زفرة ، ثم قال : « ان الذي يشجيني الان انني اهفو الى تلك الملاحم البيتية التي الفتها وتعودتها ، فبيتي الان هادىء هدوء الصحراء وزوجتي محبة وادعة ، ولو عادت بين الحين والحين الى خصامها وغضبها لتمت سعادتي وكمل هنائي ! »

وتركنا الممثل القديم ونحن نخشى ان يعود الى سيرته السالفة لينقذ نفسه من الهدوء الذي اثقل كاهله .

بغداد — مير بصري

الزمن . . . رهيب

كم خميسٍ وكم ثلاثاء تمضي　　فالى أي نقطةٍ أنا امضي
كالقطار السريع أيام عمري　　آه من موقف الوصول الممضّ

* * *

كلما مرَّ بي صباحٌ عراني الخوف　　من وحشة المساء القريبه
ثم يمضي المساء والليل والصبح　　وتغدو كذكرياتٍ رهيبه

* * *

كلما مرَّ في خيالي طيفٌ　　من حياتي في ذكرياتي القديمه
قلتُ يومي هذا سيصبح منها　　بعد حين .. وأي نجوى أليمه

* * *

يا لرعبي من الزمان السريعِ　　كانتهائي من الامور شروعي
كلما كنت قابعا في هدوئي　　غمرتني أمواج خوفٍ مريعِ

* * *

ان ارقام كل شهر وعام　　تبعث الخوف من مرور الزمان
كم ألوف من السنين تقضَّت　　كل اجزائها الصحاح ثواني

* * *

كلما أثبتت يداي سطوراً　　وبدا لي التاريخ تحت السطور
قلت هذي الارقام يوما ستغدو　　خبرا غابرا وراء الدهور

* * *

ويح نفسي من الدقائق والساعات　　تعدو في درب عمري سراعا
وأراني مثل الشهاب سيطفى　　لن ترى منه بعد ذاك شعاعا

* * *

دون جدوى أرى مروري بهذا　　الكون مهما أصاب ذكري خلودا
أي شيء يجدي رفاتي مهما　　قيل عني قد كان فذا فريدا

* * *

لا تقل لي الخلود ان خلودي　　لا يساوي آلام ساعة بؤسٍ
أي شيء هذا الخلود ونحيا　　في جحيم من الحياة وتعسٍ

جدة　　علي دمر

للفيلسوف الانجليزي
برتراند رسل

الطريق الى السعادة

ترجمة عادل سلامة
ليسانس امتياز في الادب الانجليزي
دبلوم في التربية وعلم النفس

٥

الحسد

يعد الحسد من اهم اسباب (١) الشقاء بعد القلق ، ويمكن القول بانه ظاهرة تتأصل بذورها في الانسان في مختلف انحاء العالم . وهو ظاهرة يمكن ملاحظتها في الاطفال قبل ان يمر على ولادتهم عام واحد ، وينبغي على المربي ان يعالجها في شيء من الحذر والعناية . فالطفل يشعر بالمرارة لاي تفرقة بسيطة يلحظها في المعاملة بينه وبين اي طفل اخر . وكل انسان يعهد اليه بتربية الاطفال يجب عليه ان يراعي معهم العدالة التامة المطلقة التي لا تتغير ابدا . والاطفال اكثر صراحة في التعبير عن شعورهم بالحسد والغيرة — وهي في حد ذاتها نوع من انواع الحسد — عن الاشخاص الكبار . فشعور الحسد يخالج الكبار كما يخالج الاطفال الصغار ، ولنضرب مثلا من الخادمات لذلك . فاني اذكر انه كانت لنا خادم متزوجة ، وكانت هذه الخادم حاملا في فترة من الفترات . فقررنا الا تقوم برفع الاحمال الثقيلة . فكانت النتيجة المباشرة لذلك ان جميع الخادمات الاخريات تجنبن رفع الاحمال . وكان علينا نحن انفسنا ان نقوم بهذا العمل بدلا منهن .

والحسد هو اساس الديموقراطية ويذكر هرقليطس انه كان من الواجب ان يشنق جميع سكان مدينة افينسوس Ephesus لانهم طالبوا بالا يكون لهم رئيس . ويبدو ان هذا الشعور كان هو الدافع لظهور الحركة الديموقراطية في عهد اليونان . ويمكن تطبيق هذا القول على الحركة الديموقراطية الحديثة .

ومن الحق ان نقرر ان هناك احدى النظريات المثالية التي تقول بان الحكومة الديموقراطية هي افضل انواع الحكومات . واني اعتقد شخصيا ان هذه النظرية صحيحة . ولكن النظريات المثالية ليس لها من التأثير في مجال السياسة العملية ما قد يؤدي الى تغيير كبير . واذا حدث ان طرأ اي نوع من التغيير فان النظريات التي تتخذ لتبريره تكون عادة ستارا تختفي تحته عاطفة معينة . والعاطفة التي تدفع بالنظريات الديموقراطية الى الامام ليست فى واقع الامر الا عاطفة الحسد . اقرا مذكرات مدام رولان Roland تلك المراة التي ذكر الناس عنها انها كانت مدفوعة دائما بحب الغير والتضحية في سبيلهم ستجد ان الدافع الذي جعل منها امراة ديموقراطية ممعنة في هذا المذهب هو انها ادخلت صالة الخدم حين اتيحت لها فرصة الاتصال باحد القصور الارستقراطية .

ويلعب الحسد دورا كبيرا بين اوساط النساء . فاذا حدث مثلا ان كنت جالسا في احدى السيارات وصعدت اليها سيدة انيقة ، فلتراقب عيون النساء الاخريات ، ستجدهن باستثناء اولئك اللواتي هن اشد منها جمالا ، يلحظنها بعيون شريرة ، ويحاولن ان يجدن شيئا يعبنه عليها. وما التشهير بالناس الا تعبير عن هذا الاتجاه العام نحو الشر . فكل قصة تقال عن امراة اخرى يسهل تصديقها ، حتى ولو بنيت هذه القصة على برهان عابر . ويتخذ الايمان بالاخلاقيات العالية وسيلة لهذا الهدف ، فاولئك الذين تتاح لهم الفرصة لاختراق هذه الاخلاقيات يحسدون ، ثم يعتبر العقاب على هذه الخطيئة ، امرا فاضلا .

ويمكن القول بنفس الشيء بالنسبة للرجال مع فارق واحد ، وهو ان المراة تعتبر جميع النساء منافسات لها ، بينما يقتصر شعور الرجل بالحسد على الرجال من ذوي مهنته . وانت ايها القارىء الم يصادف الامر ان دفعك النزق مرة فاشرت الى محاسن احد الفنانين في حضور فنان اخر ؟ هل مدحت سياسيا في حضور احد رجال السياسة من نفس الحزب ؟ او قرظت عالما في الاثار المصرية في حضور عالم اخر في نفس هذه الاثار ؟

اذا كنت قد فعلت هذا فانه من المؤكد انك قد فجرت بمقالتك هذه ينابيع الحسد في نفس محدثك . ومن الرسائل التي تبادلها الفيلسوفان ليبنتز Leibnitz وهيجنز Huyghens رسائل يبديان فيها اسفهما لحقيقة المزعومة عن اصابة نيوتن Newton بالجنون ، ويقولان لبعضهما انه من المحزن حقا ان يفقد هذا العبقري الذي لا مثيل له توازن عقله . وقد ذرف هذان الرجلان العظيمان دموع التماسيح غزيرة في خطاب اثر خطاب معان الحقيقة التي زعماها في خطاباتهما لم تحدث قط ، وان كانت هناك بعض الامثلة على الاضطراب في سلوك نيوتن التي اثارت حوله هذه الشائعات .

والحسد هو اتعس صفة يمكن ان تتصف بها طبيعة البشر ، فالحسود لا يلحق اذاه بالغير حين تتاح له الفرصة لذلك فحسب ، بل انه نفسه يعاني الشقاء نتيجة لهذا الاحساس بالحسد ، فانه بدلا من ان يستمد السعادة مما يملكه ، انما يستمد الشقاء مما يملكه الناس ، وهو يحرم غيره مما يتميزون به اذا كان في استطاعته ذلك ، وهو امر يرغب في تحقيقه كما لو كان يرغب في تحقيق هذه الميزة لنفسه .

١ — من كتاب تحت الطبع باللغة العربية
The Conquest of Happiness

وإذا اطلقنا العنان لهذه العاطفة، فانها ستقضي من غير شك على كل انتاج ، حتى ولو كان هذا الانتاج ضروريا . لماذا يسعى الطبيب الى مرضاه في سيارة ، بينما يسعى العامل الى عمله راجلا ، لماذا يسمح للمحقق العلمي ان يتابع ابحاثه في غرفة دافئة ، في الوقت الذي يعاني فيه اناس اخرون مرارة البرد ، لماذا يتاح للانسان الفذ الذي يتمتع بموهبة خارقة ، ان يتخلص من اعبائه المنزلية؟ كل هذه الاسئلة لا يجد الحسد لها جوابا . غير انه من حسن الطالع ان العواطف الانسانية تتضمن عاملا اخر يتعادل مع الحسد ، وهو عامل الاعجاب . وكل من يهدف الى زيادة السعادة الانسانية عليه اولا ان يزيد من شعور الاعجاب بين الناس ، ويقلل من شعور الحسد .

وبعد فما هو علاج الحسد ؟ هذا العلاج بالنسبة « للصالحين » هو اهدار النفس ، وان كان الوضع بين « الصالحين » لا يخلو من تبادل شعور الحسد مع بعضهم البعض .

[......]

وإذا اخرجنا « الصالحين » من حسابنا ، فان العلاج الوحيد لتلافى الحسد بين النساء والرجال العاديين هو تنمية الاحساس بالسعادة، وتجيء المشكلة هنا من كون الحسد في ذاته عقبة في سبيل هذا الاحساس . وانا اعتقد ان الحسد وليد لبعض النكبات التي تصيب الانسان في الطفولة . فالرجل الذي كان يحس دائما ابان طفولته ان اخاه او اخته مفضلة عليه يربى عنده الشعور بالحسد . وحين يخرج الى العالم تراه دائما ضمن الباحثين عن المتاعب التي يعتبر نفسه ضحية لها ، سواء كانت هذه المتاعب امرا حقيقيا او شيئا من صنع مخيلته ومثل هذا الانسان شقى ما في ذلك شك ، وهو دائما مصدر للقلق والمضايقة لاصدقائه من حوله ،ويبدأ الامر معه ان يتخيل ان جميع الناس يضطهدونه ، ثم ينتهي به سلوكه اخيرا الى ان يضطر الناس الى اضطهاده بالفعل .

ومشكلة اخرى من المشاكل التي تعانيها الطفولة ، وهي افتقار الطفل احيانا لعاطفة الابوة رغم ان ابويه حيان يرزقان . ويدفعه هذا الشعور الى عقد المقارنة بين نفسه وبين الاطفال الاخرين اللذين يتمتعون بهذا العطف، وينتهي به الامر اخيرا الى ان يكره هؤلاء الاطفال ، والى ان يكره ابويه . ذلك ان بعض نواحي السعادة تعد حقا من حقوق الانسان منذ ولادته ، واذا حرم هذا الحق فان ذلك سيؤدي به الى شعور عميق بالمرارة .

ولقد يسأل الرجل الحسود ولكن ما هي الفائدة التي تعود علي حين تقول لي ان علاج الحسد هو الاحساس بالسعادة ، فانا لا استطيع ان اجد السعادة طالما يداخلني الحسد ، وانت تقول لي اني لن استطيع التخلص من هذا الشعور حتى اجد السعادة . والواقع ان سنن الحياة لا تجري على مثل هذ المنطق . فانك اذا تحققت من دوافع الحسد في نفسك ، تكون بذلك قد خطوت خطوة نحو التخلص من هذه الدوافع . وعادة التفكير على اساس المقارنة عادة خطيرة حقا. فاذا مررت بحادث يدعو الى الارتياح فلتتمتع به الى النهاية ، دون ان تحاول ان تتصور مدى الارتياح الذي كان من المنتظر ان تشعر به اذا كانت ظروفك شبيهة بانسان اخر .

يقول الرجل الحسود« حقا ان هذا يوم مشمس من ايام الربيع ؟ الطيور تصدح ، والزهور ناضرة ، ولكنني اعلم ان الربيع في صقلية اجمل آلاف المرات ، وان الطيور هناك ارق شدوا، كما ان زهرة الشارون Sharons الطف من اي زهرة في بستاني » ، وحين تمر بمخيلته هذه الافكار يربد وجه السماء ،وتتوقف الطيور عن الغناء ، ولا يساوي جمال الازهار المجهود الذي يبذل في النظر اليها ، والانسان الحسود يعالج كل مباهج الحياة بنفس هذه الطريقة ، انه يقول « نعم ان الفتاة التي احبها جميلة ،وانا احبها ، وهي تحبني ، ولكن ما كان اجمل ملكة سبا ، لو كان لي ما كان لسليمان ! »

الواقع ان كل هذه المقارنات امور جوفاء لا هدف لها ، وسواء كان مصدر الشقاء هو الملكة سبا ، او جارتنا القريبة ، فان التفكير في كليهما شيء تافه . والحكيم هو الذي يتمتع بما لديه دون ان يعكر عليه صفوه النظر الى ما يملكه رجل اخر .

وللحسد ، كصورة من صور الشر، اساس عقلي الى جانب اساسه الاخلاقي ، فالحسود لا يقدر الاشياء في ذاتها ، وانما يقدرها بالنسبة لاشياء اخرى . فلنفترض مثلا اني اتقاضى مرتبا يكفيني مؤنتي ، وان القناعة وجبت علي لذلك، ولكن الرضا الذي اشعر به يأخذ في التلاشي ، ويأكل قلبي شعور الاضطهاد اذا سمعت بشخص اخر لا يفوقني في وجه من الوجوه ، مع انه يتقاضى ضعفي في المرتب ، وذلك اذا كنت ذا باع في الحسد . وخير علاج لهذا كله ان يرتب الانسان عقليته بحيث يستبعد الافكار التي لا جدوى منها .

وبعد أليست السعادة هي اشد الاشياء داعيا للحسد ؟ واذا طهرت نفسي من عاطفة الحسد ، فاني سأحس بالسعادة ومن ثم اصبح بدوري احد الاشخاص الذين يحسدون وليس من شك في ان الشخص الذي يتقاضى اضعافي في المرتب يتجه الى حسد شخص اخر اكبر منه ، وهكذا دواليك اذا كنت من طلاب المجد فلتحسد نابليون ، ولكن نابليون كان يحسد قيصر ، وكان قيصر يحسد الاسكندر الاكبر ، ومن الجائز ان الاسكندر كان يشعر بالحسد نحو هرقل ، تلك الشخصية الاسطورية التي لم تضع قدما قط على ظهر الارض .

فانت لذلك لا تستطيع ان تتجنب عاطفة الحسد بتحقيق النجاح فحسب، ما دام هناك في التاريخ او في عالم الاسطورة شخصية حققت من النجاح ما لم تحققه انت .

والتواضع الذي يفوق الحسد امر وثيق الصلة بالحسد ، واذا كان التواضع يعد فضيلة ، فاني اشك في ان الاغراق فيه امر مطلوب ، فالقوم المتواضعون يفتقدون الثقة في النفس كثيرا ، كما يفتقدون الشجاعة الكافية للاضطلاع باعمال هم في واقع الامر اكفاء للقيام بها . ويعتقد هؤلاء القوم ان كل من يتصل بهم يعد اكثر تفوقا عليهم ، وهم لذلك عرضة للشعور بالحسد ، ومن ثم عرضة للشقاء والتعاسة .

وانا اعتقد ان ثمة فائدة كبيرة تجنى اذا تعلم المرء منذ الطفولة الاعتداد

بالنفس ، كما اني لا ازعم ان هناك من الطواويس ما يشعر بالحسد نحو غيره من الطواويس ، ذلك لان كل طاووس يعتقد اعتقادا جازما ان ذيله هو اجمل ذنب في العالم ، وينتج عن ذلك ان كل الطواويس اصبحت من الطيور المسالمة . ولتصور اذن مدى الشقاء الذي كانت ستعانيه مملكة الطواويس اذا تعلم كل فرد في هذه المملكة الا يعتد بنفسه . فاذا راى الطاووس طاووسا اخر ينشر ذيله حدث نفسه قائلا « انه يجب الا اتصور ان ذيلي اكثر جمالا من هذا الذيل لان ذلك يعد من قبيل الغرور، ولكن كم اتمنى ان يكون ذيلي كذلك ، ان هذا الطائر اللعين يحس انه احسن من غيره ، هل لي في ان اقتلع بعضا من ريشه ، وحينذاك لن يكون هناك مجال للمقارنة بيني وبينه » .

ومن الجائز ان ينشر الطاووس شراكا لزميله ، ليتهمه امام مجتمع الطواويس بانه لم يسلك السبيل الحقة لهذا المجتمع ، ومن ثم يصبح ذلك الطاووس عرضة للتشهير به في كل مكان . وبالتدريج يتقرر بين افراد هذا المجتمع مبدا عام ، وهو ان الطاووس ذا الذيل الجميل انما هو عنصر لئيم في المجتمع ، وان الحاكم العاقل في مملكة الطواويس عليه ان يعهد بالمسئوليات للطواويس الهزيلة ذات الذيول القصيرة . وحين يتقرر هذا المبدأ يعمد حاكم الطواويس الى قتل الطواويس الجميلة ، وتصبح الذيول الرائعة ذكرى من ذكريات الماضي .

هذا هو الحسد حين يتقنع في لباس الاخلاقيات ، اما في المملكة التي يعتبر الطاووس فيها ذيله اجمل الذيول قاطبة ، فليس هناك ما يدعو الى كل هذا الضغط ، فكل طاووس يتوقع انه سينال الجائزة الاولى في مسابقات الجمال ، بل انه يعتقد انه قد نال هذه الجائزة بالفعل .

وليس من شك في ان الحسد يرتبط تمام الارتباط بالتنافس . فالمرء لا يحسد صاحب الثروة الطائلة اذا كان تحقيق مثل هذه الثروة امر بعيد الاحتمال . وفي العصور التي يستقر فيها نظام الطبقات الاجتماعية لا تحسد الطبقة الفقيرة الطبقة الموسرة طالما آمن افراد هذا المجتمع بان تحديد هذا الفارق شيء من صنع الله ، فالشحاذون لا يحسدون اصحاب الملايين ، ولكنهم يحسدون شحاذين اخرين اكثر نجاحا منهم في مزاولة مهنة الشحاذة ، اما في العصر الحديث فقد ساعد عدم استقرار الميزان الاجتماعي ، وانتشار المذاهب التي تدعو للمساواة كالديموقراطية والاشتراكية ، ساعد هذا كله على اتساع نطاق الحسد ، ويعد هذا في الاونة الحاضرة شرا ، ولكنه شر لا بد منه في سبيل تحقيق نظام اجتماعي عادل . فحين يفكر الانسان تفكيرا عقليا منظما في الفوارق التي قد يراها في المجتمع سيدرك من غير شك انها فوارق ظالمة ، الا اذا كانت تستهدف غرضا اخر لا بد من اجتيازها للوصول اليه . والعصر الذي نعيش فيه عصر يلعب الحسد فيه دورا هاما. فالفقراء يحسدون الاغنياء، والامم الفقيرة تحسد الامم التي هي اغنى ، ويحسد النساء الرجال ، والنساء الفضليات يحسدن اولاء اللواتي يتمتعن بمزايا الفضيلة دون ان يتمسكن بها .

واذا كان من المحقق ان الحسد هو الدافع الاساسي لتحقيق العدالة بين مختلف الطبقات ، وبين مختلف الامم ، وبين افراد الناس على تباين جنسهم ، فانه من المحقق ايضا ان نوع العدالة الذي ينتج عن الحسد هو اسوا الانواع ، لانه يقوم على تحطيم سعادة السعداء ، لا على اسعاد المحرومين . فالعواطف التي تؤدي الى تحطيم حياة الفرد ، هي نفس العواطف التي تهدم حياة المجتمع ، وليس لنا ان نفترض ان امرا خبيثا كالحسد يمكن ان يثمر ثمارا تتصف بالنبل وعلى اولئك الذين تدفعهم المثل العليا الى العمل على تغيير النظام الاجتماعي، وتدعيم العدالة الاجتماعية ، عليهم ان يتخذوا لذلك قوى اخرى غير قوة الحسد لتحقيق المثل التي يهدفون اليها . واذا كانت الامور السيئة يرتبط بعضها بالبعض الاخر ، كما ان بعضها يترتب على بعض فان الارهاق في كثير من الاحيان ينتج عن الحسد ، فاذا احس امرؤ انه غير كفء للعمل الذي يقوم به ، فيغمره شعور عام بالاستياء ، قد يتخذ صورة الحسد لغيره من الزملاء الذين يؤدون عملهم على الوجه الصحيح . ولذلك فان تجنب الارهاق يعد عاملا هاما في سبيل القضاء على شعور الحسد . غير ان اهم العوامل قاطبة في هذا السبيل هو ان يهيىء المرء لنفسه حياة هانئة لا تتعارض مع اشباع غريزته . والواقع ان العامل الجنسي يعد مصدرا هاما من مصادر الحسد . فالرجل الذي يسعد بين زوجه واطفاله لا يهمه ان يحسد غيره لما لهم من ثراء او نجاح ، ما دام لديه ما يكفيه لتربية اطفاله تربية مثالية .

وادوات السعادة الانسانية ادوات بسيطة بلغت من بساطتها ان القوم المعقدين لا يستطيعون ادراكها. واولئك النساء اللواتي اشرت اليهن من قبل، واللواتي يحسدن غيرهن من النساء لاناقة مظهرهن انما يعانين شقاء في حياتهم الغريزية . والسعادة التي تتصل بالحياة الغريزية امر يفتقده النساء في العالم الناطق بالانجليزية. وهذه من غير شك هي احدى اخطاء المدنية الحديثة . واذا كان لنا ان نعمل للقضاء على الحسد فان علينا ان نصطنع الوسائل لذلك ، والا فان المدنية ستنقلب الى اداة لبث الكراهية في نفوس الناس . ففي العصور القديمة كان الناس يحسدون جيرانهم فقط ، اذا لم تكن لديهم الوسائل لمعرفة الكثير عمن يبعد عنهم . اما الان فقد تيسرت الوسائل بعد انتشار التعليم والصحافة ، فتعرف الناس على اجناس من بني الانسان لم يسبق لهم التعرف على اي فرد ينتمي اليها، كما عرف خلال السينما كيف يعيش الاغنياء ، وعرفوا خلال الصحف الشيء الكثير عن خبث الامم الاجنبية ،وخلال الدعاية عرفوا بعض العادات التي يزاولها قوم يختلفون عنهم في اللون والجنس. فالجنس الاسود يكره الجنس الابيض ، والجنس الابيض يكره الجنس الاسود ، وهكذا دواليك.

والشيء الذي يثير كل هذا الكره هو الدعاية ، وان كان هذا تفسير سطحي للموضوع . فلماذا تنجح الدعاية في اثارة الكره والبغضاء، اكثر من نجاحها في تدعيم علاقات الصداقة . السبب واضح في ذلك وهو ان القلب البشري ، كما صاغته المدنية الحديثة اصبح اكثر قابلية لشعور البغضاء من شعور المحبة .

وقد اصبح القلب البشري كذلك لانه يحس احساسا عميقا بانه يفتقد معنى الحياة ، وان من الجائز ان هناك ناسا اخرين ضمنوا لانفسهم المتعة بما اتاحته الطبيعة للانسان بينما حرمنا نحن من ذلك . والمتع التي يلقاها الانسان الحديث في حياته اكثر في مجموعها من المتع في المجتمعات البدائية ، ولكن احساس الانسان بما قد يحدث في المستقبل قد زاد عن ذي قبل . واذا عن لك ذات يوم ان تصطحب اطفالك الى حديقة الحيوان ، فلتتفرس قليلا في عيون زواحف العصور القديمة Apes فان هذه الحيوانات يغمرها شعور غريب بالاسى دائما الا في الوقت الذي تزاول فيه بعض انواع الرياضة او تكسر البندق . وان المرء ليتصور ان هذه الحيوانات تحس بانه كان من الواجب ان تنقلب الى اناس،ولكنها تفتقد السر الذي يفتح لها الطريق . انها ضلت الطريق وهي في سبيلها الى التطور ، بينما اجتازته اخواتها وراءها .

ويبدو ان شيئا من هذا الشعور بالمرارة علق بالانسان المتحضر ، فهو يعرف تمام المعرفة ان هناك ما هو افضل منه ، وان هذا الشيء يكاد يكون في متناول يده ، ولكنه لايعرف الطريق للبحث عنه او للعثور عليه ، لذلك فان حالة الياس التي تطغى عليه تدفعه الى الثورة على اقرانه من الرجال بينما لا يقلون هم عنه شقاء وتعاسة. ولقد وصلنا الى مرحلة في التطور ليست هي المرحلة النهائية . ويجب ان نجتاز هذه المرحلة في سرعة ،لانه اذا لم يقدر لنا ذلك فان معظمنا سيفنى في الطريق ، بينما يتيه الاخرون في غابة من الشك والخوف وعلى الرغم من كون الحسد امرا مكروها ، ورغم بشاعة النتائج التي تترتب عليه فانه لا يعد على كل الاحوال شرا خالصا . فهو الى حد ما تعبير عن الالم الضخم الذي يعانيه اولئك الذين يضربون في الليل على غير هدى ، وهم بين ان يصلوا الى مستقر افسح مجالا ، او ان يكون مصيرهم الموت والفناء .

وعلى الانسان المتحضر كي يجد له مخرجا من لجة الياس هذه، ان يتسم برحابة الصدر كما اتسم برحابة العقل ، ويجب عليه ان يتجاوز نطاق الذات ، ومن ثم ان يحصل على حرية الكون باجمعه .

القاهرة — عادل سلامة

زفـرة

٥

لنهدم ...
لتهدم ...
عقارب الشر عششت
والافاعي تفحُ فحيحا
والآسن الأخم
أصبح طيبا
والفاجر الداعر
استحال نبيلا
والقاتل السارق
بات الحارس الامين

الهي الهي
صبَّ نارا وكبريتا
واعد لنا سدوم وعمورة

... الهي ... رفقاً
انا الخاطىء

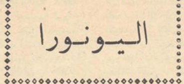
هجع حارس الغاب في عرينه
وترك النسر الجو للزرازير

تساوى عندي الحقـد والعفو
كأن وطنـي رؤى لا تعنينـي

اعتزلت حتى نفسي
فأصبحت في نفسي
عن نفسي غريبا

البـير اديـب

قصـة لادجار الن بـو



اليونورا

ترجمة نهاد خياطه

اتحدر من اصل معروف بقوة الخيال وضرام العاطفة . كان الناس يدعونني مجنونا . ولكن ما لم يبت فيه بعد ، هو مسألة ما اذا كان الجنون يعتبر اعلى مراتب الذكاء ام لا ، ما اذا كان من اعطي الكثير منه عظيما ومن اعطيه كله عميقا ، ما اذا كان لا يصدر عن مرض في الفكر او عن مزاج عقلي يسمو على حساب الادراك العام . فالذين يحلمون في النهار هم على علم باشياء لا يطالها اولئك الذين يحلمون في الليل ، اذ يدركون ، في رؤاهم الرمادية ، لمحات من الابدية ، فتثيرهم ، وهم ايقاظ ، ليجدوا انفسهم واقفين على مشارف السر الاعظم . وهم في قبساتهم تلك ، انما يتلقنون بعضا من الحكمة التي هي من الخير ، وكثيرا من مجرد المعرفة التي هي من الشر . وهم في كل الاحوال ، يوغلون في خضم وسيع من النور لا يوصف ، هائمين من غير ما دفة او بوصلة — فعل ذلك الرحالة النوبي في مغامراته .

لنقل اذن انني مجنون . فانا اسلم على الاقل بان لي حالتين متمايزتين من وجودي العقلي : حالة الذهن الصافي — وهذه لا مراء فيها ، وهي تتعلق بذكرى الاحداث التي تؤلف الحقبة الاولى من حياتي ، وحالة الظن والشك التي تتصل بالحاضر وبذكرى ما يشكل الحقبة الثانية من كياني . لذلك ، فان ما سارويه عن المرحلة الاولى فصدقه ، وما قد انسبه الى الزمن المتاخر فامنحه ثقتك فقط حيثما بدا انه حري بذلك ، او شك فيه بمجموعه ، او ، اذا انت لم يسعك ان تشك فيه ، فالعب ، عندئذ ، لعبة اوديب في طلسمه .

تلك التي احببتها ايام الصبى ، وتلك التي اخط عنها هذه الذكريات بوضوح واطمئنان ، انما كانت الابنةالوحيدة للشقيقة الوحيدة لامي التي توفيتمنذ امد طويل . اليونورا كان اسم ابنة خالتي . كانت اقامتنا على الدوام معا ، تحت الشمس المحرقة ، في الوادي ذي العشب الكثير الالوان . لم تطاه قدم قط من غير دليل ، ذلك لانه واقع في المرتفع القصي وسط سلسلة من تلول جبارة تتسامق متطاولة لتحيط به من كل جانب ، فتحجب ضياء الشمس عن اجمل اغواره . لم يوطا درب في ما يجاوره . ولكي تبلغ مغنانا السعيد ، فانت بحاجة لان تخلف وراء ظهرك ، بقوة ، اوراق الاف كثيرة من اشجار الغابة ، ولان تدهس ، حتى الموت ، زهو ملايين كثيرة من الازهار العطرة . وعلى ذلك المنوال من الوحدة ، كانت حياتنا جميعا — انا ، وابنة خالتي ، ووالدتها .

من تلك الربوع المعتمة فيما وراء الجبال عند الطرف الاعلى من منطقتنا — من هناك ينساب نهر ضيق عميق ، اكثر لمعانا من كل شيء خلال عيني اليونورا ، ويتلوى على نفسه ، خلسة ، في مجريات محيرة ، ثم يعبر الى البعيد ، في النهاية ، من خلال مضيق ظليل ، وسط رواب هي أشد حلوكة من تلك التي يصدر عنها . كنا ندعوه « نهر الصمت » لما كان يحدثه جريانه من تاثير يدعو الى الصمت . لم يكن ينبعث اي خرير من مجراه ، وانما كان يهيم قدما وهو في غاية الرفق ، حتى ان لآليء الحصباء التي كنا نحب ان نطيل اليها النظر ، في الاسفل البعيد من قاعه ، ما كانت لتتزحزح قط ، بل كانت كل واحدة منها تقبع في مثواها القديم راضية لا حراك بها ، وتتألق مزهوة ابدا .

ان ضفة النهر ، وضفاف السواقي الكثيرة الخطافة البصر التي تنساب في مسايل حائرة لتصب مجراه ، كذلك المسافات الممتدة من الضفاف الى اعماق السواقي حيثتبلغ مهاد الحصباء في اسفل القاع — هذه كلها مفروشة ، بما لا يقل عن سطح الوادي كله الممتد من النهر حتى الجبال تزنره ، ببساط من حشيش اخضر ناعم ، كثيف ، قصير ، عبق برائحة الخرنوب . الا انها مبقعة من جميع اطرافها ، بزهر رجل الغراب الاصفر ، وبزهر اللؤلؤ الابيض ، وبزهر البنفسج الارجواني ، وبزهر الاسفودال الياقوتي الحمرة — كل هذا الجمال الرائع ، كان يتحدث الى قلوبنا بانغام مسموعة عن محبة الاله وعظمته .

ومن هنا وهناك ، في الادغال التي تكتنف الحشائش ، مثل متاهات الرؤى ، تنتصب اشجار غريبة ذات جذوع طويلة هيفاء الا انها غير مستقيمة ، بل تميل برفق باتجاه النور الذي يحدق عند الظهيرة في متوسط الوادي . كانت ذات لحاء مرقط ورواء متناوب البريق من الابنوس والفضة — اكثر نعومة من كل شيء خلا وجنتي اليونورا . حتى ليخيل الى المرء ، والانسام تداعب اوراقها اللماعة الخضراء المتدلية من ذراها بخطوط طويلة راعشة ، انها ثعابين هائلة من سورية تقوم بواجبات الاعظام نحو الهها الشمس .

يدا بيد في هذا الوادي ، مدة خمسة عشر عاما وانا اتجول مع اليونورا قبل ان يدخل الحب الى قلبينا . كان ذلك ذات مساء ، وهي تحبو الى سنها الخامسة عشرة وانا الى العشرين ، عندما جلسنا ، واطبق كل منا على الاخر بعانقه ، تحت الاشجار الافعوانية . ثم رحنا نتأمل من خلال مياه نهر الصمت في صورتينا .

بقينا طيلة ذلك النهار الجميل ونحن لا نتكلم بشيء، وكان حديثنا حتى ما تعلق منه بالغد مضطربا وقليلا . فقد اطلعنا الاله ايروس من تلك اللجة فاضرم فينا ارواح اجدادنا المستعرة ، واقبلت العواطف التي تميز بها عنصرنا منذ قرون ، مزدحمة بالاخيلة التي اشتهرنا بها كذلك ، فراحت جميعها تستنشق عبير هناءة محمومة ما لبثت ان غمرت الوادي ذا العشب الكثير الالوان . انقلاب طرا على جميع الاشياء . ازهار غريبة لماعة ، على هيئة الانجم ، تنبثق من الاشجار حيث لم يكن الزهر معروفا من قبل . وخضاب البساط الاخضر يصير قاتما . ولما اخذت ازهار اللؤلؤ تتضمر واحدة واحدة ، نبت بدلا منها عشرة عشرة من ازهار الاسفودال الياقوتية الحمرة . لقد انبعثت الحياة في دروبنا ، فطائر مالك الحزين المديد القامة الذي كان غير مرئي حتى ذلك الحين ، راح ينفش ريشه القرمزي اعجابا امامنا هو وجميع الاطيار الوضاءة الطروبة . اسماك مذهبة ومفضضة صارت تختلف الى النهر، ومن منبعه صار ينبعث خرير ما يزال يعلو قليلا قليلا حتى يندغم في نغم هاديء هو اكثر الوهة من نغم قيثار ايولوس ـ اكثر حلاوة من كل شيء خلا صوت اليونورا . والان كذلك ، تعوم سحابة هائلة طالما راقبناها وهي في مناطق الهسبر ـ تعوم مزدانة بالقرمز والذهب ، ثم تحط باطمئنان فوقنا ، وتغوص يوما فيوما الى اسفل فاسفل حتى تستريح ذوائبها فوق ذرى الجبال فتقلب عتمتها بهاء، ثم تنغلق علينا ، كما لو كانت، ابدا، سجنا سحريا من العظمة والمجد .

لقد كان جمال اليونورا من نوع جمال ملائكة الطهر والعفاف، ولقد كانت فتاة بسيطة وساذجة سذاجة تلك الحياة القصيرة التي قضتها بين الزهر . ولم تكن حرارة حبها الذي احيا منها القلب لتختفي وراء قناع من المكر .

ثم راحت ، واياي ، تتفحص اغوار الوادي ذي العشب الكثير الالوان ، وتحدثني في التغيرات التي طرات ثمة عليها.

اخيرا ، ومنذ ان تحدثنا يوما ، والدموع تنهمر من المآقي ، عن اخر انقلاب لا بد ان ينزل بساحة الانسان ـ منذ ذلك الحين وهي لا تفتر عن الخوض في هذا الموضوع الكئيب وحده دون غيره ، ولا تفتر عن ادخاله في كل ما نتحدث به ـ حتى غدت احاديثها اشبه باناشيد شاعر شيراز الذي تتكرر مرة بعد مرة نفس الصور في شعره عند كل اختلاف مؤثر من العبارة .

لقد كانت ترى ان يد المنون جاثمة فوق صدرها ، وانها لم تخلق كاملة الحسن الا لتموت . غير ان اهوال القبر ظلت وحدها ذات اعتبار في نفسها ما عتمت ان كشفت لي عنه في غسق ذات مساء ، على ضفاف نهر الصمت . كانت تحزنها فكرة ان اهجر نهائيا تلك الاغوار السعيدة ، بعد ان تدفن في الوادي ذي العشب الكثير الالوان ، وان انتقل بحبي العنيف الذي اغمرها به الان، الى فتاة من العالم الخارجي ـ عالم كل يوم . عند ذاك ، سارعت والقيت بنفسي عند قدميها وقطعت لها عهدا وللسماء الا ارتبط بالزواج باي من بنات الارض . واذا فعلت ، كنت خائنا لذكراها الغالية ، او لذكرى الحب الخالص الذي باركتني به . وناشدت ناظم الكون القدير ان يشهد على ذلك العهد. وان اللعنة التي استنزلتها علي ، في حال خيانتي العهد ، لتشتمل على عقاب الروح الاعظم مما لن يسمح لي تدوينه هنا . فاشرقت عيناها لدى هذه الكلمات ، وتنهدت كما لو ان عبئا مميتا انزاح عن صدرها ، وطفقت ترتجف وتبكي بكاء مرا ، الا انها رضيت بذلك العهد الذي هون عليها فراش الموت . ثم قالت بعد ايام قلائل وهي تحتضر هادئة ، انها بسبب ما قمت به من اجل راحة نفسها ، لسوف ترعاني بروحها بعد الموت ، اذا ما اتيح لها ان تعود الي جهارا في يقظات الليل . ولكن بما ان تلك العودة هي ، بالفعل ، فوق طاقة الارواح في الفردوس ، فلسوف تعطيني على الاقل اشارات تنبئ بمقدمها . كان ترسل لي تنهداتها مع رياح المساء ، او تفعم الهواء الذي اتنسمه ، طيبا تحرقه مجامر الملائكة . وبهذه الكلمات على شفتيها ، اسلمت حياتها البريئة ، واضعة حدا للحقبة الاولى من حياتي .

والى هنا ، كنت مخلصا فيما تحدثت به . غير انني اشعر ، وانا اقطع الحاجز من ممر الزمن الذي اقامته وفاة محبوبتي وانتقل الى الحقبة الثانية من حياتي ، بظل يتجمع في دماغي فارتاب بتمام صحة ما سجلته مخيلتي . ولكن ، لاسترسل فيما انا فيه . الاعوام بعضها يجر بعضا ببطء ، وانا ما ازال مقيما في الوادي ذي العشب الكثير الالوان . الا ان انقلابا ثانيا طرا على جميع الاشياء . فالازهار النجوم تتضمر الى داخل جذوع الاشجار ولا تعود تظهر ،وخضاب البساط الاخضر يخبو بريقه ، وازهار الاسفودال الياقوتية الحمرة تذوي واحدة واحدة وينبت بدلا منها عشرة عشرة من ازهار البنفسج القاتمة ، ثم تلتوي جزعا وهي مثقلة بالندى ابدا . والحياة تترحل من دروبنا . فمالك الحزين المديد القامة لم يعد ينفش ريشه القرمزي زهوا امامنا ، وانما يطير حزينا من الوادي الى التلال ، وتطير معه جميع الطيور الوضاءة الطروبة التي قدمت بصحبته . والاسماك المذهبة والمفضضة تغوص سابحة عبر المضيق عند الطرف الاسفل من منطقتنا ولا تعود توشي النهر الجميل مرة ثانية. والنغم الهادىء الذي كان اكثر نعومة من قيثار ايولوس واكثر روحانية من كل شيء خلا صوت اليونورا ، اخذ يتلاشى قليلا قليلا في الخرير الذي خفت شيئا فشيئا ، الى ان عاد النبع في النهاية الى خشوع صمته الاصلي . والسحابة الهائلة تقلع ، اخيرا ، هاجرة قمم الجبال الى حيث عتمتها الاولى ، حتى تحط خلف ربوع الهسبر ، آخذة معها جميع طياتها المذهبة وامجادها الزاهية ، من الوادي ذي العشب الكثير الالوان .

وحتى ذلك الحين ، ظلت عهود اليونورا غير منسية . ذلك لانني كنت اسمع مجامر الملائكة وهي تتأرجح . وكانت تطفو ابدا وابدا في انحاء الوادي ينابيع من العبق القدسي. وكانت تقبل علي ، في ساعات الوحدة حيث يخفق قلبي بشدة ، رياح تغسل جبيني محملة بتنهدات ناعمة . وكثيرا ما افعم انسام الدجى جرس غامض غير متميز . ومرة ـ آه ، لكنها واحدة فحسب ! افقت من غفوة مثل غفوة المنون ، على شفاه روحية تضغط على شفتي .

غير ان الفراغ الذي في قلبي ، يابى ان يمتلىء على هذا الشكل . كنت تواقا الى الحب الذي افعم قلبي من قبل حتى افاض . فصار الوادي يضايقني اخيرا بذكريات اليونورا ، فتركته نهائيا الى اباطيل هذا العالم وامجاده المتعبة .

الفيتني في مدينة غريبة ، حيث كان في وسع كل شيء ان يسخر لي لكي امحو من الذاكرة تلك الاحلام اللذيذة

سؤال

٥

اوَ تنكرينَ ؟
ووراء عينِكِ يعكس السر الدفينْ
اذ تنظرينْ
وتشعُ من عينيكِ احلامٌ عذابْ
فاذا الهوى
همسٌ من النجوى العُلَى
واذا القمَرْ
يهفو فيلتثم السَمَرْ
ويضيق باللحن الوترْ
واذا اليبابْ
يخضوضرُ
ويضوع قلبي المقفرُ
ألحانكَ النشوى الطرابْ ...
اوَ تنكرينَ ؟..



الجامعة الامريكية بيروت — سامي مكارم

التي طويلا ما حلمت بها وانا في الوادي ذي العشب الكثير الالوان . فابهة القصر الحكومي وعظمته ، وصليل الاسلحة المجنون ، وجمال النسوة المتألق ـ كل ذلك ضلل دماغي وسممه . ولكن ، حتى الان ما ازال ابرهن عن اخلاص للعهود التي قطعتها . فاشارات مقدم اليونورا ما زلت اعطاها في هدات الليل . وفجاة انقطعت هذه الاشارات ، فاستحال العالم ظلاما امام ناظري ، ووقفت مذهولا عند الخواطر المضطرمة التي تملكتني ، عند الاغراء الذي احاط بي ، اذ قدم المدينة ، من بلاد مجهولة نائية ـ الى القصر الطروب الذي اخدم مليكه ، فتاة ذات حسن اسلمت له قلبي الجبان بكليته على الفور ، وانحنيت من غير مقاومة عند موطيء قدميها ، وانا على اشد ما يكون الحب شوقا وتعبدا ذليلا .

ما غرامي بعذراء الوادي اذا قورن بالحرارة والحمى والفيبوبة التعبدية التي ترتفع بالنفس ـ ذلك التعبد الذي سكبت به روحي دموعا على قدمي ارمنفارد ؟ آه ، سنية كانت ارمنفارد ملاك الطهر والعفاف ! لما عرفتها لم يبق لدى متسع لاخرى سواها . آه ، الهية كانت الملاك ارمنفارد ! واذا انا تطلعت الى اعماق عينيها الدائمتين ، كنت لا افكر الا بهما ـ والا بها . ت

تزوجت ـ غير خائف من اللعنة التي كنت قد استنزلتها علي والتي لم تفد علي مرارتها .

وذات مرة في سكون الليل ـ اخترقت عبر شباكي تلك التنهدات الناعمة التي كانت قد فارقتني ، وصاغت نفسها في صوت حلو مالوف قائلة :

« نم في سلام ! لان اله الحب يحكم ويسود ، وانك اذ تضم ارمنفارد الى قلبك ، فانت في حل من عهودك لاليونورا ، لاسباب سوف تعرفها في السماء . »

حلب — نهاد خياطة

اغنيـة شاعـر

✳

لعبـد الرحمـن عـلي

●

البصـرة ــ العراق

✳

من رحيق الاقحوان
صنعت لكِ مغازل العطر ...
ومن مساحب القمر
أطعمتك اقراص العسل ..
ومن نضار الربيع الطفلي
أقمتُ لك تمثالاً فتياً ؛
سكبت فيه نار الشعرِ ،
وماء المحبة..

قطرة .. قطرة
من اعناب دموع الندم
انساحت على جبينك الفضي
كأنها نداء زهرة اللوتس
حين تغور في اعراق الندى
وتلثم وجه التراب..
وقلتِ لي ، في غصة التذكار :
متى تعود لنا اغاني الدوالي
وتوشحنا ارتعاشة القمر
بخيوط الفضة ..
ونقبّل بسطة العشب
بأيادينا الموشاة بنور الاشراق ،
ورخاوة النسيم ! ؟

●

العناقيد يا فتنة الازاهير
تمد رؤوسها عبَر ارجوحة المساء
وتحكي لنا : اسطورة الطهر ،
وتعانق مراشف الحلم
في تسبيحة الانامل ..
قطرة .. قطرة
من أعناب دموع الندم
ستموت كالظلال بين يديك ،
وتجف على خديك
رعشات الذكرى المصوحة ..
فمن نضار الربيع الطفلي
أقمت لك تمثالاً فتياً ،
سكبت فيه نار الشعر ،
وماء المحبة .. !



١ ــ آراء وأحاديث في القومية العربية

لساطع الحصري ــ ١٥٠ صفحة ــ دار العلم للملايين ببيروت

لا نظن ان ثمة من ينكر على الاستاذ ساطع الحصري انه ابو « القومية العربية » وسيد من توفر في دراستها وجلاء معناها ونشرها في اوساط المتنورين في العالم العربي جميعا . ولسنا نغالي اذا قلنا ان اهتمام « ابي خلدون » بالقومية العربية يسري في اوصاله مسرى الدم وان ايمانه ليتخذ من فؤاده موضوع الروح ؛ استمع اليه وهو يقول : « ما اسعد الامم التي حققت وحدتها القومية ، واستكملت شخصيتها السياسية فاستطاعت ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية » [الكتاب : الصفحة ٢٣] .. وانه ليبثنا ــ في موضع اخر ــ عواطفه وآماله معلنا ان الوحدة العربية لا بد ستتحقق يوما من الايام ، ان عاجلا او آجلا ؛ ويردف : « **لا ادري فيما اذا كان** ما بقي لي من العمر سيسمح **لي بادراك ذلك اليوم . غير اني اقول بكل اخلاص : اذا قدر لي ان ادرك اليوم الذي ستتحقق فيه الوحدة العربية ،** ساعتبر نفسي **اسعد الناس جميعا ... وسانسى كل ما كابدته من مشاق وآلام ... وساترك هذه الحياة راضيا مرتاحا .. كانني لم اتعب ابدا ، ولم اشعر بذرة من الالم .** » [ص ٢٢] .

« وآراء واحاديث في القومية العربية » ، الذي اخرجته بالامس « دار العلم للملايين » ، كان قد صدر من قبل في عام ١٩٥١ ، وهو ــ في طبعته الجديدة (١) ــ يضم بحثين او ثلاثة ، وعددا من المقالات ، واربع كلمات لا تتجاوز كل منها الصفحة الواحدة .

ولعل امتع ما في الكتاب واكثره فائدة وغناء ، تلك المحاضرة المطولة الموسومة « القومية العربية » ، وقد ألقاها المؤلف في قاعة « جمعية الوحدة العربية » بالقاهرة في عام ١٩٥٠ ؛ حيث مضى ابو خلدون يجلو فيها معنى القومية العربية مسلطا عليها اشعاعات من النور الوهاج مميطا عنها الغشاوة لتبين واضحة لكل ذي عينين ، في نفس العالم المحقق المثابر الذي لا تعوزه البلاغة والرصانة ولا يضن عليه المنطق بالبرهان المقنع يورده حيث ينبغي ان يورد البرهان ... عرض ، اول الامر ، للفرق ما بين الامة والدولة ، ومثل بدولة بولونيا التي اقتسمها يوما جيرانها الثلاثة ، ولكن الامة البولونية لم تنقرض مع ذلك ، بسبب من ان ابناءها حافظوا على قوميتهم التي مهدت بعد ذلك للم الشعث ورأب الصدع من جديد ، ثم انتهى الى واقع الامة العربية التي اراد لها المستعمر ان تتجزأ الى « دويلات » عديدة ؛ أفنحافظ اذن على الحدود المصطنعة التي رسمها المستعمر على الخريطة دون النظر الى غير مصالحه !! ولئن انسلخ شعب مصر عن الامة العربية في وقت مبكر وسابق على انشقاق اجزاء الامة العربية في بلاد الشام والعراق وبعضها عن بعضها الاخر ، فان ذلك لا ينهض بحال دليلا على عدم عروبة شعب مصر ، ونظرة واحدة تلقى الى ما قبل فترة الانسلاخ والانشقاق هذه ــ الى عهد المماليك والايوبيين والفاطميين والعباسيين والامويين ــ تنبيء بالوحدة في كل مجالي الحياة ، وبتداخل الحدود الموضوعة اليوم على غير هوى ابناء الامة العربية .. ثم يخلص المحقق بعد ذلك الى ان « كل الشعوب التي تتكلم العربية ، هي عربية ... وكل فرد ينتسب الى احد هذه الشعوب ، هو عربي . » [٦٤] .

لقد ابت هذه المحاضرة القيمة ان تمضي بها الايام دون ان يتارحولها تعليق او مناقشة او توضيح ، فخصصت « جمعية الوحدة العربية » يوما لمناقشة الاراء المسرودة فيها . وكان ان انتقد بعض الحاضرين اعتبار « اللغة » اساسا للقومية ، بحجة ان الولايات المتحدة الاميركية انفصلت عن بريطانيا على الرغم من وحدة اللغة ؛ واشار بعضهم الاخر الى اختلاف الاحوال الاجتماعية والثقافية وتباين المصالح الاقتصادية بين الاقطار العربية مما يحول دون تحقيق الاتحاد ؛ في حين تساءل اخرون : « ما الفائدة ان اكون عربيا ؛ انا مصري ، بس . » ! .. وقد انبرى ابو خلدون ، ذلك الذي تعيش كل خالجة فيه احساس القومية العربية ، يرد ويفند وينافح ، دون ونى او كلال ، بالمنطق السليم الذي يجري على لسانه عذبا كالسلسبيل .

ثم ان الاستاذ المحقق يتساءل ، في بحثه المزيد « الامة العربية بين الماضي والحاضر » ، عن اسباب تخلفنا في ميدان الوعي القومي ، ليجيب بعد هذا التساؤل بتفصيل واف مبينا العوامل التي استقراها من ملابسات التاريخ ؛ ومن ذلك : « السلطة المعنوية التي كانت تتمتع بها السلطنة العثمانية ، باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية . هذه السلطة المعنوية القوية كانت تخدر فينا روح القومية العربية ، وتجعلنا نعتبر الولاء للسلطنة المذكورة من الواجبات الدينية » [١٤٤] ؛ والعامل الثاني اننا اكتفينا ، في دراستنا للحركات القومية في اوروبا ، بالرجوع الى المؤلفات والمصادر الفرنسية والانكليزية ، في حين ان مفكري هاتين الدولتين ما كانوا لينظروا الى الحركات القومية نظرة الارتياح لتعارضها مع اطماعهم الاستعمارية ، فكانت دراستهم اياها مشوبة بالتحيز لا تخلو من مسخ وتشويه ؛ على ان اهم العوامل « الاوضاع السياسية التي خلقتها المطامع الاستعمارية في البلاد العربية ، والنزعات الاقليمية التي تولدت عن تلك الاوضاع » [١٤٧] .

وسل عن فرحة الاستاذ المحقق بالدستور المصري الجديد الذي صرح في مادته الاولى : « ان الشعب المصري جزء من الامة العربية » . لقد استهل مقالته « عروبة مصر » بالاتي : « ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٦ ... ان هذا اليوم سيتبوأ مكانة خاصة في تاريخ نشوء فكرة القومية العربية في مصر ، لانه في اليوم المذكور ، اذاع زعماء الثورة المصرية ــ باسم الشعب المصري ــ الدستور الجديد ، واعلنوا فيه عروبة مصر بصورة رسمية . » [الصفحة السابعة] .

واستطرد بعد ذلك يبين موقف سوريا في الماضي والحاضر من القضايا العربية وموقف بعض المصريين من ذلك ؛ وقال « ان آراء المصريين في القضايا القومية ، كانت (حتى صدمة فلسطين) مبلبلة بلبلة غريبة ، ومقسمة بين النزعة الفرعونية ، والاقليمية المصرية ، والرابطة الشرقية ، والجامعة الاسلامية . واما فكرة القومية العربية فكانت تتعثر بين هذه التيارات المختلفة ، فلا تستطيع ان تشق طريقها الى النفوس الا بصعوبة كبيرة . » [الصفحة الثامنة] . وراح يدلل على ذلك بالحقائق التاريخية يسردها الواحدة اثر الاخرى .

على اننا كنا نحب لو علل الاستاذ المحقق تأخر مصر عن ركب القومية العربية ، او نوه بالعوامل والظروف التاريخية التي كانت السبب في هذا التأخر . ولعل اهمها ــ في ظننا ــ عاملان : ان الشعور بالقومية

(١) زيدت هذه الطبعة الثانية مقال « عروبة مصر » ، وبحث « الامة العربية بين الماضي والحاضر ».

العربية كان ، قبل ان يتصرم القرن التاسع عشر ، هاجعا في نفـــوس العرب جميعا . وكان ينهض مكانه ايمان غامض بالقومية الاسلامية . ولعل هذا الايمان هو الذي جعل اهل الشام والعراق يرتضون بالحكم العثماني طوال قرون ما دامت الحكومة دينية يرئسها الخليفة المسلم . الى ان هز الشعور بالقومية العربية واججه ما لاقاه السكان من الاضطهاد العنصري على يد « الاتحاديين » الاتراك ، ومحاولتهم « تتريك » العرب في جميع المجالات. من هنا كانت الانطلاقة الاولى بالنسبة الى الشعور بالقومية العربية لدى اهل الشام والعراق .. في حين لم يقدر لاهل مصر ان يعيشوا مثل هذه التجربة او يعانوا هذه المحنة القاسية . فظلوا لذلك بعيدين عن التحمس لفكرة القومية العربية ، بعيدين حتى عن وعيها . اما العامل الثاني ، الذي ادنى مصر الى اقليمية ضيقة منكمشة ، فهـو وجود تاريخ خاص بمصر سابق على التاريخ العربي ، يعتز به ويتمثل هذا التاريخ في آثار الفراعين المنبثة في كل بقعة من مصر ، والتي تشهد بحق على طول باع حضارة وصل اليها الاجداد الابعدون . واذا بعض المصريين ينجرفون في اعجابهم بهذا التاريخ والحضارة الى حد خلـع خصائص ومميزات على ابناء مصر ينفردون بها دون سائر الشعوب العربية قد توارثوها عن اسلافهم بناة الاهرام ، ضاربين صفحا عن تأثير « الغزاة » العرب في غير اللغة والدين .. ذلك في حين لم يقدر للاقطار العربيـة الاخرى ان ينعم تاريخها بمثل هذا النصيب الوافر من الحضارة التليدة. ومن يدري ، لو كانت نعمت اقطار اخرى بذلك فلعلها ما كانت لتألو في الدعوة لقومية لها اقليمية ضيقة (٢).

وكذلك فقد قام في مصر من آمن بما سماه القومية المصريـــة او الفرعونية وحمل لواء الدعوة لها في غير ما تحفظ او هوادة . ولقـد تصدى الاستاذ المحقق لبعض من هؤلاء في كتابه هذا ، في مقال معنون « مصر والعروبة » ، حيث رد فيه على الاساتذة لطفي السيد وحفني محمود وحمد زكي واحسان عبد القدوس ، ردودا لا نشك في اقناعها وقـوة الحجة فيها . ان في مصر ــ لم يزل ــ اناسا ما زالت « العروبة » لـم تلامس معتنقهم ، وهم مؤمنون كل الايمان بعظمة الاجداد الفراعنة وبالاهرامات

الثلاثة الرابضة في الجيزة على الاحقاب لا تريم . على ان ثمة نفرا مـن اشقائنا المصريين قد ارتدوا اليوم ــ او بالامس ــ عن هذا الايمان السادر؛ بل ان منهم من بات ينكر على المعجبين بالاهرامات اعجابهم . وان استاذنا محمد ابو زهرة كان لا يعني يعلن ــ وهو يحاضر في طلابه في مـدرج جامعة القاهرة ــ بان الاهرامات هذه ليست دليل عظمة « الاجداد » الفراعنة رمزا لحضارتهم ، وانما هي دليل على الذل والعبودية والطغيان ، أفمن الحضارة والانسانية ان يساق بالسخرة كل يوم عشرة الاف عامـل طوال اربعين سنة لبناء قبر يرقد فيه فرعون ؟ ! ومن عجب انه كان من الطلاب من يهلل لهذا الراي في رضا واقتناع ، بينما يبلـغ السخط بالاخرين منتهاه ! .

ان في مصر عروبيين ، وان في مصر من لم يعن بالقومية العربية وما زال يحمل لواء الدعوة لقومية او نزعة اخرى . وقد اخذ الاستاذ المحقق على عاتقه ان يكون بالمرصاد للداعين لغير العروبة ؛ فاذا ما قـام احدهم يكتب في معتنقه تصدى له ابو خلدون مبينا الخطل في رأيـه واتجاهه ، في تعليق او مقال على وفق المقتضى ، وربما حضر بحثا مطولا القاه في محاضرة يلتئم فيها شمل الصفوة من رجال الفكر ، فتشتد حوله المناقشة والجدال ، ومحققنا في ذلك لا يألو في الدعوة لمبدئه بحماسة المؤمن الواعي ، ثم يجمع ، في الفترة والاخرى ، ما تجود به القريحة الوثابة في كتاب يدفعه الى القراء العرب مكملا بذلك رسالته التي ستحفظ له الاجيال الصاعدة فضل صنيعه واياديه البيضاء .

ولقد نظرنا نظرة المستعجب الى ما كتبته السيدة وداد سكاكيني منذ اشهر من ان كتاب الاستاذ الحصري « العروبة اولا » ليس الا « جمعـا لمقالات علق في بعضها المؤلف على مطارحة سمعها ... وآراء قديمـة اختزنها ليعود اليها ويربط بينها وبين المطارحة ... » ، وقـد كانت « حسبت هذا الكتاب دراسة علمية وتاريخية ونفسية او مراسا للبحث الجدي ... » . ولسنا ندري ما تريده الكاتبة الفاضلة ــ على التحقيق ــ بالدراسة العلمية والتاريخية والنفسية ونحن واقعون على مثلها فـي ما تضم كتب الاستاذ ساطع الحصري من ابحاث مطولة ؟ ام انها تريـد الكتاب بحثا واحدا متصلا ؟ حسنا ، فان كان الكتاب سلسلة من الابحاث والمطارحات ، أفي ذلك انتقاص من قيمة الكتاب وقدر الكاتب ؟! والكاتبة الفاضلة تقول : « ان ما جاء في مطلع كتابه « العروبة اولا » من تعريف بالعروبة يعرفه الامي الواعي فضلا عن المتعلم والمثقف » ؛ ولكن ، ما ذنب الاستاذ المحقق اذا وجد نفسه مضطرا الى ان يعرف في كتبه بالعروبة التي ما تزال ثمة فئة من الناس تنكرها على بداهتها ونصاعة حقيقتها ! نحن لا نشك ان في مصر « عربا اقحاحا وشبابا سرى في عروقهم هـــوى العروبة ... » ، ولكن وجود مثل هؤلاء العروبيين في مصر لا ينفي وجود اخرين على النقيض من ذلك ، وابو خلدون يطارح « الاخرين » ويساجلهم ويسوق اليهم « البديهيات » التي تعرفها السيدة وداد سكاكيني حق العرفان . وانه في ذلك ربما عاد الى « آراء قديمة اختزنها » وربط بينها وبين المطارحة ، ولا تثريب في ذلك ، فانما حوادث الماضي محـدودة ومحصورة ، وهو يستحضرها قصد جلاء معنى القومية ، وليس له ان « يخترع » او « يتزيد » ؛ أفنلومه اذن على امانته واخلاصه للتاريـخ ، ام نطلب منه ان يختلق لنا قومية جديدة لم يسبقه الى الكلام فيهـا انسان ؟

والاستاذ المحقق ــ بعد ذلك ــ ذو اسلوب لا يشق على القارىء العادي فهم فحواه ، فهو سهل مستساغ لا غموض فيه ولا تعقيد . وهو يورد ، في سبيل اقناع قارئه ، بالامثلة البسيطة المعجزة ؛ انظر اليـه وهو يرد في هدوء المستوثق على احد الكتاب الذي قال : « على مصر الا

---

(٢) أعلنا هذا الراي في مجلة « العلوم » [عدد اب ١٩٥٦] ردا على مقالة الاستاذ المحقق « عروبة مصر » المنشورة في المجلة ذاتها [عدد حزيران ١٩٥٦] .

تتطلع الان عبر حدودها لتحل مشاكل الغير من جيرانها » ، فقد اردف ابو خلدون : « .. واسألكم : بماذا تصفون عمل الرجل الذي لا يبالي بالحريق الذي يشب في حارته قائلا : يجب ان انظم شؤون داري قبل ان التفت الى الحريق الذي شب في دار جاري » [١٢٢] .

ولقد قال الدكتور زكي يوما بان مصر ليست فرعونية ، ولا هي عربية ، وانما هي امة قائمة بنفسها ؛ وراح يتصور تصورا ادبيا لا يخلو من ابداع .. انه قدر له ان يحيي الموتى فبعث الحياة في مومياء مصرية « وكان بيننا لغة مفهومة ، فكم يطول بيننا الحديث على الفهم وعلى غير الملل ، وقد اختلفت بيننا عقول واختلفت قلوب ، واختلفت ارواح ، واختلفت نظرات الى اشياء الحياة واشياء ما بعد الموت ؟ وخطر لي اني سأكون اكثر ائتناسا بالياباني او الصيني او الانجليزي او الاميركي من اهل هذا العصر ، مني بهذا الذي ربطت بيني وبينه الدماء البعيدة ... » ؛ فاذا ابو خلدون يمضي من لدنه في هذا « التصور » حتى اخره ، فيقول: « لو قدر للدكتور ان يحيي الموتى ، وان ينفخ في صور خيالي بعيد الحياة الى طائفة من عظماء العرب ، فيضعه وجها الى وجه معهم في رواق من اروقة الازهر في القاهرة ، او في حجرة من حجرات المدرسة العادلية بدمشق ، او في ايوان من اواوين الفردوس في حلب او المستنصرية في بغداد .. لو قدر له ان يواجه في احد هذه الاروقة او الاواوين ، سيف الدولة او ابن خلدون ، المتنبي او ابا العلاء المعري ، الغزالي او ابن زيدون ماذا كان يحدث ؟ هل كان يجد الدكتور نفسه — عندئذ ايضا — اكثر ائتناسا بالياباني والصيني منه بهؤلاء ؟ [١٢٦] .

على ان في الكتاب « كلمات » مبتسرة لم افهم الباعث الذي حدا بالاستاذ المؤلف الى ايرادها في الكتاب ؛ منها « كلمة حول كارثة فلسطين » و « كلمة حول التماسك الاجتماعي » و« كلمات من كتاب القومية والوطنية» وخاتمة لمحاضرة نشرت في كتاب « آراء واحاديث في العلم والاخلاق والثقافة » ، وكل من هذه الكلمات في صفحة واحدة .

واياً ما كان ، فان الاستاذ الجليل ساطع الحصري في « آراء واحاديث في القومية العربية » ، وفي سائر كتبه النفيسة ، ليسدي الى **القومية العربية — بحق — يدا بيضاء لا تنسى له ابد الدهر** ، بما يضم بين دفتيها من احاديث ولفتات قومية تجلو الصدأ عن العقول والنفوس وترهص لتقبل فكرة القومية العربية التي تشد اليوم سبعين مليونا من البشر بوشيجة ليس الى فصمها من سبيل .

٢ — مكاتيب الغرام

لحسيب الكيالي — قصة مطولة — ٢٠٧ صفحة — دار الفارابي بدمشق

دلال ملابي ... نموذج صادق لفتاة العصر التي ضلت ..

كانت حياتها الاسرية فوضى واضطرابا : ام لا تسأل عن بيتها ، وتصادق الرجال على مشهد من زوجها ، ولا تفتأ تردد امامه بان حياتها معه ضاعت هباء . ولما كانت « دلال » في التجهيز تعرفت الى شاب ينظم الشعر كان يعطي زميلتها دروسا في العربية ، فجذبها بشاعريته الحالمة ، وصادقته — غير سائلة عن المصير — طوال اربع سنوات ما عرفت خلالها — كما بدا لنا — النجاح في المدرسة .. وسافر الحبيب (فريد) الى فرنسا لاكمال التحصيل بعد ان اراق بين يديها الوعود .. ولما لم يكتب اليها انكفأت الى اخيه الاكبر (سليم) تمحضه الحب .. وراحت تتردد على « الجريدة » التي يعمل بها وصحبه من الشباب المتأدبين « الواعين »، وهناك كانت تدور على الالسن الاحاديث الانتقادية عن ... المجتمع ، والفن ، والادب ، والفلسفة ، والتحرر والانطلاق من قيود الرجعية .. فاخذت الفتاة بهذه النظرات والمبادىء وما توانت عن ان تبادل الغزل والحب كلا من (سامي) و (روحي) ، بل و (ابو حمد) العامل في المطبعة .

وتقضت عليها في ذلك سنوات اربع اخرى ، فاذا صويحباتها في المدرسة قديما قد حططن الرحال في منازل الزوجية الهادئة ، اما هي ؟ فانها لتنشد الزوج بين هؤلاء الذين منحتهم في غير ضن ، فلا تجد لبغيتها متحققا : فريد عاد من فرنسا بزوجة باريسية ، وسليم جعل يبادل الحب فتاة تهوى الرسم اوقعها في شباكه ، وسامي خطب ابنة خالته ... وانثالت تحاور نفسها : « لماذا لا يخطبني اولئك الذين يباهون بحبهم لي ؟ انا يا ربي في اعماقي تقتلني الاشواق الى قلب يضمني اليه ، يحنو علي ، يرحم ضعفي وضياعي . انا والله مثل بقية النساء ، محبة لاولاد ينبثقون مني .. » « ماذا فعلت ؟ أأنا ضالة ؟ لقد قالوا لي دوما اني في خفقة القلب وخطرة الخاطر وغنة الشعر ! .. كم اجبتهم وبكيت بين يديهم ؟ .. » « انا متعبة ، حزينة ، تاعسة ! احس ان الامل نفسه يحتضر في . اما من خفقة حانية يخفقها لي قلب محب رحيم ! تاب واحد يا الهي ! » (الصفحة ٢٠٦) .

ان « المتفلسفين » ، ذوي النظرات والمبادىء هؤلاء ، هم الذين جنوا على « دلال ملابي » خدعوها بتحررهم المزعوم ، فما تلكأت الضحية عن الاستجابة لاي كلمة غزل يهدهد بها عواطفها الموارة. وما كان في تحررهم — في واقع الامر — من ضير كبير لهم ، ذلك انهم رجال ... ولكن الضير كله كان من نصيب دلال ، الانثى ، التي بارت في الزواج .

« يا الهي ! أهؤلاء الشبان يريدون ان يخلقوا مجتمعا افضل ! » (ص ١١٦) .. كذلك هتفت دلال عندما عرفت ان سليم المحب ، يغرر في السر بابنة خالتها سلوى .. واننا لنردد معها هذه المقالة .. اجل . ان هؤلاء هم الذين اخذوا على عاتقهم مهمة خلق مجتمع افضل . ولكن ، كيف يخلقون هذا « المجتمع الافضل » ؟ يدوسون على الاخلاق والقيم الروحية التي يتحلى بها المجتمع الراهن ، وقد رأوا فيها قيما « رجعية » تجر الى وراء .. وانهم — في ذلك — ليكذبون ويخونون ويزنون ، ولا يتورعون عن مقارنة كل ضروب الرذيلة وافانين الضلال ، وبعدها .. يزعمون انهم يسعون الى خلق « مجتمع افضل » وكأنما خفي عنهم ان « المجتمع الافضل » انما هو ذلك الذي يبتدىء فيه الفرد باصلاح نفسه من الاعماق ، اصلاحا جذريا .. لا يكذب ، لا يخون ، لا يزني .. وإذ ذاك يعلو المجتمع فاضلا . انها بدع وردت الينا من هناك ، من الخارج ، فهرع اليها شبابنا « الواعون » يعتنقونها لانها من الخارج وظللنا على قيمنا الروحية ، نحن الاخرين .

وكذلك فقد مضى المؤلف يوزع الاضواء ويلقي الاظلال ، هنا وهناك ، في حذق وبراعة ، حتى انني لا اكاد اشك في انه — من فرط ما التزم الصدق في سرد الحوادث — قد استنزف ، في غير تبذل ، العبرات من المآقي الرهيفة . ومما يحمد له ابقاؤه على القصة في الاخير « مفتوحة » غير منهية « بخاتمة » ما ، فاسح بذلك المجال لخيال القارىء يتخير ما يشاء من نهايات وخواتيم .

على ان « بناء » القصة لم يسلم في بعض جوانبه من المثالب تؤخذ عليه . لقد مضى المؤلف في الفصل الاول من القصة يحدثنا عن اسرة دلال حديثا صادقا .. عن ابيها ، امها ، اخويها ، وعن علاقة هؤلاء بعضهم ببعض .. ثم لم نعد نسمع — في سائر فصول القصة — عن احوال الاسرة شيئا ، اللهم الا في الفصل السابع ، حيث عاد بنا المؤلف الى الاسرة من جديد . ليقص علينا عبر خلاف ذر قرنه بين الوالدين ، وكذلك خبر اكتشاف الاخ الاكبر علاقة دلال بصديقها فريد . وفي غير هذين الفصلين لا نكاد نقع على صوت ينأمه احد افراد الاسرة ، وكأن البطلة انفلتت من الحائط .. حتى ان دلال — التلميذة في التجهيز — اصبحت تقضي معظم نهارها في « الجريدة » ولا يبرر لنا المؤلف سر سكوت الاهل على غيابها ، او سر جهلهم الامر على الاقل .. بل انه لا يتعرض لحياتها المدرسية .. ماذا حصل لها في دراستها ؟ كيف رسبت ؟ وفي اي صف انتهت ؟ لا ندري . وصديقها الاول فريد ، مبلغ علمنا انه في الصف الاول في الجامعة ، فاذا هو يستعد — بعد طويل صمت —

للسفر الى فرنسا لاكمال التحصيل ؛ متى نجح ؟ وما تحصيله في الخارج ؟ لا ندري . لقد انشغل المؤلف برصد علاقات دلال بالفتية الادباء وضرب صفحا عما عدا ذلك ؛ فثلم بذلك « البناء الفني » ثلمة بينة لا تغتفر ، حيث ترك جانبا منه ناقصا لم يعل عن المهاد سوى اشبار ، في حين اشرأبت الجوانب الاخرى وتطاولت الى العنان .

والمؤلف ، في غير ذلك ، يضفي على الموقف ـ احيانا ـ الوانا غير متساوقة واضواء لا تخلو من التنافر . اسمع : تتصل دلال بفريد في منزله بالهاتف ، ايام امتحانه ، فيجيبها مبتهجا : « ابقي محلك .. سأترك (الجريدة) حالا واتيك..» (٤٩) ، وقد كان الاولى ان يقول : سأترك(الكتاب) الكتاب المدرسي الذي يذاكر به ! ومن ذلك ايضا ، ان دلال تجلس ، في المطبعة ، الى جوار ابو احمد ، في موقف « غرامي » جارف ... « فأملت رأسي على كتفه وارحته .. وحدقت ببصري الى الارض افكر في امره . كانت ارض المطبعة قذرة تتناثر في كل مكان منها قصاصات الصحف . كنت تستطيع ان تقرأ على احداها : « صدمت سيارة كميون يقودها فوزي البستاني من اهالي درعا المدعو سليمان الجاسم الفواعري من عشيرة الفواعرة . فأصيب ... ، وعلى اخرى ... ، وعلى ثالثة ... وقطع علي ابو احمد تأملاتي قائلا : » (٩٨) .. أفي مثل هذا الموقف ، حيث يبوح الرجل باسرار قلبه وحياته ، تروح الفتاة تمعن بقصاصات الصحف على الارض ، في احداها .. والاخرى .. والثالثة ؟.. ان اقل ما يتطلبه الموقف ان تستجيب دلال الى بوح صاحبها وهي العاشقة المتولهة

والقصة ، بعد هذا ، مروية على لسان البطلة دلال ملابي . انها « ترصد » الاحداث جميعا وتسجلها بدقة متناهية . ومن هنا يبدو القسر والاكراه في رواية القصة .

نحن نفهم ان تجيد البطلة رصد ما يقع تحت ناظريها او يعتلج في وجدانها .. اما ان تفلح في رصد ما يجول في خاطر صاحبة لها ـ مثلا ـ فذلك ما لا يمكن قبوله . وعلى ذلك ، فمن المآخذ الكبرى ان تروح البطلة تسرد تفاصيل تعارف زميلتها نعمة وزهير « ولاحظت نعمة ان الفتى مرتبك ، متبلبل .. بلبله مجرد انه اتوجد قرب انثى . كان (يخيل اليها) ان يؤيؤيه يندفعان ناحيتها اندفاعا شديدا .. » (١٥٠) . ان هذا الرصد الدقيق « لداخل » نعمة ، لا يجيده غير نعمة نفسها ؛ ثم من اين واتت البطلة معرفة ان الفتى « بلبله مجرد انه اتوجد قرب انثى » ؟

ذلك ما لا تحدث عنه النساء حديث الوثوق ، وانما يقوله الرجال عن انفسهم انه ليبدو ـ هنا ـ كان التوفيق خان المؤلف في ان يتقمص شخصية البطلة ، لقد جعل يزور ـ معذرة ـ على لسانها معارفه هو كرجل .

اما في الفصول الحادي عشر ، الثاني عشر ، الخامس عشر والثاني والعشرين ، فقد كاد يختفي ، او اختفى ، طيف البطلة وراء اراء الشخوص الاخرين . اضحت كل مهمتها مجرد سماع المناقشات ـ دون الاسهام فيها ـ وتسجيلها بالحرف الواحد . يخوضون في احاديث تتصل بالفلسفة والادب والرسم والموسيقى والتمثيل ، ويتكلمون عن العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمراة ، ويحكي كل منهم حكاية .. والبطلة لا هم لها الا ان تسجل ! هذه ـ يا ناس ـ ليست مهمة البطلة ، انها مهمة المؤلف . لقد كان الاولى ان يحتفظ لنفسه بموقف الراصد لا يتخلى عنه لاي من شخوص القصة ، حيث يتاح له ان يتنقل من شخص الى اخر ، يسبر غوره ويتقمص شخصيته ويعيش ازمته . انه ليبدو لنا ان نجيب محفوظ سيظل سيد من رصد من المؤلفين .

ولغة القصة اداة طيعة في يد المؤلف يتصرف بها على وفق ما يشاء ، فيأتينا بالحوار المستعذب والصور المستلطفة . تسمع الى البطلة تقول : «وكثيرا ما استوقفني ليتأملني في ظمأ ، ثم يمضي يهدل كذكر الحمام ! » (٤٣) ؛ او وهي تقول تقصد الى ان تغري سليم ، اخا حبيبها الذي ارتحل ، بغية ان تمارس واياه الحب الذي يمور في كيانها: « احمق؟ الذي ارتحل ، بغية ان تمارس واياه الحب الذي يمور في كيانها: « احمق! ومن قال لك خنه ؟ ومن قال لك اني احبك ؟ انا خلقت للعهود ، للاخلاص! طرتك وصدرك الكث ، هذا كل ما في الامر . غبي ، غبي ! يشك في اماني ! أتصدق اني احب سواك ، سواه يا مجنون ؟ الحبيب ، الغائب ، المسافر ، كم احبه . احبه فيك واحبك فيه ، بل احب واحدكما في الاخر، أحبه...أحبك!» (٩٧)؛ ودونك حوارا يتسم بالرشاقة والصدق والحياة

« طيب ، سمعنا القصة من اولها ، ماذا جرى ؟

ـ القصة ليست مهمة ، وكل ما جرى ان ليلاي ، داخل معترضتين ، كانت برسم البيع فانباعت .

ـ نمر نمر ، قطاعة ! انه يكذب على نفسه يا اخوان .. اشهدوا!..

فنبها سعيد محتدا ، فتابع غسان مهددا :

ـ اذا قوطعت اثناء الرد بترت القصة ..

وارتفعت اصوات متوسلة ، لائمة مهددة :

ـ من شان الله بس سعيد .. من شان الله بس يا هو ! » (١٣١) .

على ان لغة المؤلف لا تخلو من شوائب تفسد فصاحتها ، يبثها في تضاعيف القصة متقصدا ؛ من مثل : « تنده ابي » (الصفحة الثامنة) ، « شقرتت » (١٣) ، « فلفطت زوجا » (١٤٣) ، « تشكلي آسي » (٨٥ و ١٩٤) .. انها « عاميات » دخيلة تشين ولا تزين ! .

واننا لنتساءل ـ اخيرا ـ عن نصيب القصة من الواقع . يقولون : ان القصة المطولة الاولى تستمد في العادة اصولها مما عاش المؤلف في واقعه من تجارب . وانه مما يدعو الى الوقوف والتفكر ان يرد في القصة ان اسرة سليم وفريد (الاخوين الاديبين) « من بلد صغير في الشمال » (٥٢) حيث كان « من بين سيقان (الزيتون) الداكن يظهر الافق » (٦١) ، او ان يغني سليم مرة : « درب حلب ومشيتو ـ كله شجر زيتوني » (١٩٧) !!

وبعد:

ان « مكاتيب الغرام » من « المحاولات » التي تبذل في سوريا لخلق « عمل » قصصي مطول .. ومن هنا ، كانت خليقة بان تلقى التشجيع والاقبال . ثم ان فيها العبرة البالغة من غير الاملال .. ومن هنا ـ كذلك ـ ننصح شباب العرب بان يطالعوها ، حيث يتاح لهم ، وللقارئات بخاصة ان يدركن ما الطفرة .

حلب — **فاضل السباعي**

ميناء القدر

لفيكتور حكيم ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مجلة الدنيا بيروت

الى التي قالت لي منذ عشرين سنة ... لا اتعلم هذه اللغة لانها لغة البدو ، اود ان اوجه هذه الكلمات !

عزيزتي لوسيت !

هل جاءك النبأ العظيم ، وقد اصبحت الان دون شك امرأة كاملة الانوثة والعقل ... ؟ لا تسأليني عنه بالحاف لانه ليس من الاعيب السياسة ولا هو من احابيل الدبلوماسية ، ولا هو كذلك من فنون الحرب التي يتوقعها الناس ، راغبين او راهبين . اما انا فلا اتوقع نشوب حرب ... لانني اؤمن بالانسانية التي وعت ويلات حربين متواليتين، خلال ربع قرن ، ولانني مؤمن فيك ... انت الام ـ الم تتزوجي ؟ ـ التي تنشئين الاجيال الطالعة على كره هذا الاله الشرس (١) فهو يأكل عباده ـ جميع عباده ـ منتصرين كانوا ام منهزمين !

الامر يا عزيزتي لوسيت ايسر كثيرا من هذا كله . انه شيء يتعلق ... باللغة ! نعم بهذه اللغة بالذات التي سبق لك ان نفرت من تعلمها ...

هل تذكرين ؟ كنت معك في غرفة العابك ... وكنت تضعين رجلا في حدود الصبا ، واخرى في حدود الشباب . وكان ابواك راغبين في تعليمك هذه اللغة لا لانها لغة البلاد ، بل لانها لغة ثانية .. في فحوص البكالوريا ، وتبرعت يومئذ لاعطائك بعض الدروس ...

ـ اقرأي يا لوسيت ... قلتها ورددتها مرارا ، وانت لا تسمعين ، او تتظاهرين بانك لا تسمعين . ثم حينما الححت عليك ، وهددتك ... بالاحتكام الى امك ، قلت لي كلمتك التي ما برحت تحز في نفسي : انني لا اريد ان اتعلم لغة البدو ؟

واجبتك متأثرا : أانا بدوي في نظرك اذن ، يا لوسيت ؟ اترين اننا جميعنا هنا بدو ... حتى توجهي الينا هذه الاهانة ؟

وكان ما كان ... وتغيرت الاوضاع ، وتبدلت الازمان . وبعد فهل تحزرين ذلك النبأ العظيم الان ؟ عفوا لقد فاتني ان اقول لك انني اؤمن مع كونفوشيوس العظيم بان اللغة ... واصلاحها هما سبيل كل امة الى النجاح والفلاح .

واليك الان النبأ الخطير : ان هذه اللغة التي رغبت عنها ... باتت اليوم ، لا تستأثر بهوى ابنائها ومحبيها وحسب ، بل اصبحت ـ تصوري خطر الامر ـ تستهوي قلوب الذين عافوها مثلك بالامس ، وآثروا عليها ـ وهي لغة امهاتهم ـ لغات اخرى لا تفضلها بشيء ... الا بعمل بنيها الدائم على تطويرها ـ بعد ان تثقفوا وهضموا المعرفة هضما اخيرا .

وهذا اديبنا الاستاذ فيكتور حكيم ـ الكاتب المعروف بالفرنسية ، انه الف بلغة بلاده كتابا قيما ، دعاه « ميناء القدر » فهل قرأته يا لوسيت ؟

احسب انك لم تتابعي تعلم هذه اللغة ، وان كنت قد ادركت فيما بعد انها ليست لغة البداوة بل لغة الحضارة ـ احدى لغات الحضارة ، منذ اقدم العصور . والقليل الذي تعلمته منها ـ باشرافي ، ثم في السوق ، لا يكفي كي تتذوقي ما اودعه هذا الاديب اللبناني في قصته الطريفة من افكار وحقائق ورموز .

ولكن حسبك ان تعلمي يا عزيزتي ان « ميناء القدر » كسب للغة العربية ، انه كسب مزدوج : كسبنا به اديبا موهوبا ، وكسبنا فيه فكرا نيرا يضاف الى تراثنا العريق .

لا تبتسمي ساخرة ... انه في الواقع تراث من اضخم ما خلفه اسلاف لاخلاف . وليس يعيبه الا جهل اولئك الاخلاف قيمته في مدى اجيال طويلة .

هذا كان بالطبع في ما مضى ! اما الان وقد تحررنا من القيود والعبوديات ، لقد بدأنا فعلا نهضتنا الصاعدة . كوني واثقة يا عزيزتي ان فترة كالتي انقضت عليك في بلادنا ، تكفي لانهاض هذه الشعوب الى مصاف امتك ! على الاقل ! فنحن شعوب عريقة تختزن من الخبرة والملكات والاستعدادات ما يؤهلها لبلوغ القمم ، في اقصر زمن .

وهكذا فان صاحب « ميناء القدر » قد قفز بهذا الكتيب ... الى فضاء الدنيا العربية الوسيعة قفزة رائعة ... بل ان هذه القصة هي بداية جميلة لاديب عميق الفكر واسع العلم كريم الخلق .

وبعد فقد اكون حدثتك عن موضوع لا يهمك . ولكنك ستفيدين منه درسا على كل حال .

بقي ان اقول لك يا عزيزتي كلمة الختام . وهي ليست عواطف او سلاما ما وكلاما ... لقد قدم لهذا الكتاب الشاعر سعيد عقل ! لا شك انك سمعت بهذا الاسم ! انه اسم كبير لشاعر شاب . وهو اسم محترم ، لا لان صاحبه يحسن الدعاوة لشعره ، بل لان شعره في الواقع يحمل طابعا خاصا . ولعله ، في كثير من نتاجه ، سيكتب له البقاء فترة طويلة من الزمن في عداد الشعراء .

ولكنه ، شأن اولئك الشعراء كثيرا ما يهيم ويضل . ولعله لا يحب هذه اللغة الحب الكافي . اريد ان اقول لا يحب تراثهم العظيم ! فاللغة تراث وليست حروفا وكلمات !

وليس لجوءه الى استعمال العامية ، حينا ، ولا دعوته الى استعمال الحروف اللاتينية حينا اخر ليسا وحدهما دليلي على ذلك . فقد يكون لهذه الانحرافات ... حوافز ومبررات ـ عنده وعند سواه .

ولما كنا نعيش في بلد الحريات ... العشر ، لا الاربع ! ومنها حرية السخف الذي يدعونه سياسة احيانا ، وحرية السفه الذي يسمونه ادبا في بعض الاحيان . لذلك فاننا لا نجادل في ... هذا او ذاك ، ونترك للزمن ان يذهب بالزبد جفاء ... ويبقى ما ينفع الناس !

ان كره سعيد عقل لتراث لغتنا العظيم ، وعلى الاصح احتقاره لذلك التراث يبدو في قوله في مقدمة « ميناء القدر » « كان موضوع السندباد اجمل ما صدر العرب الى العالم » .

تصوري يا لوسيت هذا الشاعر الموهوب كيف يجهل ـ او يتجاهل ـ ضخامة التراث الذي خلفه العرب ، ليقول ان اجمله كان ... قصة **السندباد البحري !**

يا لسخرية ... التاريخ ويا لغرور الشاعر ! وفي يقيني ان سعيد عقل لا يهدف الى الحط من قيمة ذلك التراث الذي قيل فيه بحق انه كان اذكى حضارة بعد حضارة اليونان ـ بقدر ما يهدف الى الظهور ... هكذا بارسال الغريب من الاقوال والطريف من الاحكام ، شأن الشعراء ... وعلى الاخص في بلادنا الشعرية !

سامحه الله ، كما اسأله تعالى ان يسامحك انت يا لوسيت ! فلو انك تعلمت هذه اللغة ... منذ عشرين سنة ، لكنت اذا لم تغني اليوم ادبنا بنتاجك الدسم ـ لكنت على الاقل ، هديت شاعرنا الضال الى ... الكثير من كنوز الفكر والعلم والمعرفة ، كنوز الحضارة الباقية التي اطلعت عليها في اسفار ذلك التراث العظيم ... وان كانت ... كتبا صفراء .

واليك محبتي واحترامي .

رشـاد دارغـوث

(١) المقصود اله الحرب [الاديب].



● مبادىء علم الاجتماع ـ تاليف حسين علي الداقوقي ـ ١٦٠ صفحة ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● طبول الرعب ـ شعر ـ لحساني علي الكردي ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة العربية سلمان الاعظمي [لم يذكر أين ؟ والمرجع : بغداد] .

● كيف تكون ابا ناجحا ـ الكتاب رقم ١٥ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تاليف ا. سبرجن انجلش وكونستانس فوستر ـ ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ استاذ علم النفس بمعهد التربية للمعلمين بالاسكندرية ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ١٢٢ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر .

● أفياء ـ شعر ـ لامين مرعي ـ ١٠٦ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● هنا برلين حي العرب ـ الكتاب رقم ٢ ـ زعماء النازية كما عرفتهم ـ سلسلة مذكرات سياسية وتاريخية ـ تاليف يونس بحري ـ ١٢٤ صفحة ـ دار النشر للجامعيين ـ المطبعة التجارية بيروت .

● اضواء على القضية الجزائرية ـ تاليف ابراهيم كبة ـ ١٩٩ صفحة ـ مطبعة الرابطة ببغداد .

● ماخذ الشعراء قديما وحديثا ـ الجزء الاول ـ تاليف محمد كامل شعيب العاملي ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة العرفان بصيدا لبنان .

● عصر المماليك الترسل وابن عبد الظاهر ـ تاليف محمد الحبيب ابن الخوجة ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات كتاب البعث ـ مطبعة الترقي بتونس .

● رد على ساطع الحسري ـ تاليف الدكتور سامي الخوري ـ ١١٠ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● قرار تقسيم فلسطين النص الكامل مع تعليق وخريطة ـ بقلم ع. فخر الدين ـ ٦٠ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● محمد اقبال ـ لصفوة من كبار الكتاب منهم طه حسين وفتحي رضوان ومحمد حسين هيكل واحمد حسن الزيات ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات قسم الصحافة والاستعلامات سفارة الباكستان بالقاهرة [لم يذكر اسم المطبعة] .

● القمم الخضراء ـ قصة طويلة ـ تاليف حليم بركات ـ ٢٠٢ صفحة ـ المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر بيروت ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● في مغيب القمر ـ قصة طويلة ـ تاليف جون شتاينبك ـ ترجمة ثروة اباظه وعبد الله البشير ـ ١٩٥ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر .

● ابي رفائيل بطي ـ تاليف فائق بطي ـ ٨٩ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● آراء في الشعر والقصة ـ الجزء الاول الخاص بالشعر ـ محمد رضا الشبيبي ، بدر شاكر السياب ، بلند الحيدري ، حافظ جميل ، عبد الوهاب البياتي ، كاظم جواد ، محمود الحبوبي ـ عني باعدادها ونشرها خضر الولي ـ ٦٠ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● الاشقياء ـ مسرحية شعبية ذات فصلين ـ تاليف عبد الستار العزاوي ـ باللغة العامية العراقية ـ ٨٦ صفحة ـ مطبعة الجامعة ببغداد .

● هنا برلين حي العرب ـ الكتاب رقم ٣ ـ هتلر والشيوعية ـ سلسلة مذكرات سياسية وتاريخية ـ تاليف يونس بحري ـ ١٤٢ صفحة ـ دار النشر للجامعيين ـ المطبعة التجارية ببيروت .

● الشاعر الاعمى بشار بن برد ـ تاليف عبد الله العاني ـ ٨١ صفحة ـ مطبعة المعري بغداد .

● الصراع الفكري في الادب السوري ـ تاليف انطون سعادة ـ الطبعة الثالثة ـ ٩٦ صفحة ـ المطبعة التجارية بيروت .

● تاريخ العلامة ابن خلدون ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي ـ المجلد الاول : القسم الثالث ـ ٢٣٧ صفحة ـ القسم الرابع ـ ٢٣٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبعة انيقة مع تشكيل الكلمات ـ منشورات عبد الكريم وحسن الزين ـ دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت ـ المطبعة الباسيلية درعون حريصا لبنان .

● استكشف شخصيتك ـ الكتاب رقم ١٦ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تاليف وليم ا. هنري ـ ترجمة عبد المنعم الزيادي بكالوريوس في الاداب والصحافة ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ٩٣ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر .

● ابو نواس في امريكا ـ تاليف الدكتور صفاء خلوصي ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● La Sainte Vierge dans la Littérature Française — par Choucri Cardahi, premier président honoraire de la Cour de Cassation, Professeur à la Faculté de Droit de Beyrouth — 60 pages gd. f. — Conférences données à l'Université St. Joseph de Beyrouth — Imprimerie. (?)

● Jusqu'à l'Universel — poèmes — de Aêva Rémy — Préface de : Chadly Ben Abdallah et Roberl Vatant — 60 pages — Les Editions Amour & Vie, Paris—Imprimerie Moderne à Langres.

● Les Yeux Donnés — poèmes — de Jacques Nusbaumer — 64 pages — Editions Caractères — Imprimerie Caractères, Paris.



توصيات مؤتمر الادباء العرب

●

نشرت الاديب في برقيات عدد اوكتوبر السابق جدول اعمال مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في بلودان بسورية بين ٢٠ – ٢٧ سبتمبر كما نشرت لائحة بموضوعات وابحاث مؤتمر المجامع العلمية الذي عقد في دمشق من ٢٩ سبتمبر الى ٤ اكتوبر ١٩٥٦ .

وننشر فيما يلي التوصيات التي اتخذها مؤتمر الادباء ثم المقررات التي اصدرها مؤتمر المجامع العلمية .

★ ★ ★

في هذا الظرف التاريخي الخطير الذي تجتازه امتنا العربية مجاهدة في سبيل بناء وطن عربي موحد متحرر تتحقق فيه كل الاماني القومية ويسهم في الحضارة .

وفي هذا الظرف الذي تتفاقم فيه شرور الاستعمار بمختلف صوره السياسية والاقتصادية والثقافية ، وتقف للطاقات القومية المتفتحة ، والوعي المتجدد ، والتحفز الخير لتحقيق الاهداف القومية باوسع معانيها .

في هذا الظرف الخطير التقى الادباء العرب في بلودان في « مؤتمر بلودان الثاني » بين ٢٠ و ٢٧ [ايلول] سبتمبر من سنة ١٩٥٦ ، وتدارسوا مهمتهم الادبية ومسؤوليتهم الفكرية ، وانتهى مؤتمرهم الى ما يلي :

١ – يؤكد المؤتمر مهمة الاديب العربي القومية في اذكاء الروح العربية ، وحماية التراث العربي ، وانشاء مجتمع واع ، يحقق للعربي وجوده الصحيح ، ويجعل منه اهلا لكل تضحية في سبيل وحدة امته وحريتها وعزتها وكرامتها .

٢ – يؤكد المؤتمر مهمة الاديب العربي في نصرة القيم الانسانية التي يقوم عليها تاريخه ، وتتميز بها تراثه ، والتي تصله بالحضارة الانسانية ، وذلك بالمشاركة الفكرية والابداع الفني .

٣ – يؤكد المؤتمر ضرورة الاهتمام بالتراث العربي القديم . وبالتزود بالثقافة الحديثة . حتى يتابع ادبنا سيره في الطريق التي تجعل منه ادبا بارزا بين الاداب العالمية .

٤ – يؤكد المؤتمر مهمة الناقد الايجابية ، وأثره في الحياة الادبية ، وتعاونه مع الاديب في الحرص على الابداع الفني ، والسمو الفكري ، واشراق المثل القومية والانسانية في الاثار الادبية .

٥ – والمؤتمر اذ يؤكد هذه المهمات الاساسية ويدعو الى انتهاجها في الادب والنقد ، يطلب ان تطلق للادباء حريتهم لاداء رسالتهم والوفاء لها ، دون احتجاز او قسر .

٦ – والمؤتمر يرى ان تحقيق ما يهدف اليه في خدمة المجتمع العربي والقضايا القومية يلقي على الدولة واجب المساندة . ولذلك يطالبها بما يلي :

اولا – في نطاق اللغة :

الحرص على اعتبار اللغة القومية هي اللغة الاساسية في جميع مراحل التعليم في جميع الاقطار العربية .

ثانيا – في نطاق المنشورات والمكتبات :

آ – رفع قيود الكوس والنقد والضرائب ، لتسهيل نشر الانتاج الفكري وتبادله ووضع تعريفة بريدية مخفضة خاصة بالمطبوعات .

ب – ارصاد الجوائز ، المحلية والقومية ، تقديرا للانتاج الرفيع وتشجيعا للادب الناشىء .

ج – تشجيع المجلات الادبية والثقافية بالمكافآت الحكومية او باشتراك وزارات المعارف بها وتوزيعها على مدارسها .

د – اشاعة المكتبات العامة في المدن وانشاء المكتبات المتنقلة في القرى والارياف .

هـ – اقامة معارض موسمية للكتب والمنشورات الفكرية في المدن العربية .

و – الحزم في مكافحة الكتب والنشرات والصور ، الاجنبية والمحلية ، التي تؤدي الى الانحلال الخلقي او توهي روابط الاسرة ، او تبعث على التشكيك بالقومية العربية .

ز – المعاونة على انشاء شركة توزيع قومية تتولى توزيع المنشورات العربية في الاقطار المختلفة بعيدة عن روح الاستغلال والاحتكار .

ح – المعاونة على نشر التراث القديم نشرا علميا وشعبيا يسمح بتمام الاستفادة منه والتزود من ارثه في اغناء حياتنا الادبية .

ثالثا – في نطاق الفنون :

آ – مضاعفة الجهد في رفع مستوى الاذاعات العربية والتمكين لاهدافها التثقيفية والفنية بما يضمن سلامة الذوق وحماية الخلق وتمكين الروح القومية واشاعة المفاهيم الخيرة في نفوس الناس .

ب – مطالبة الاذاعات العربية بتخصيص ركن منظم للتعريف بالكتاب العربي تعريفا فعالا سواء منه الكتاب القديم او الحديث .

ج – دعم المسرح العربي بتشجيع المسارح القائمة والمساعدة على انشاء مسارح جديدة لتشجيع الادب المسرحي .

د – المعاونة على بعث التراث الفني العربي وتبسيطه وابراز جوانب الاصالة فيه تمكينا للنهضة الفنية المعاصرة وتثبيتا لجذورها في ماضينا القومي .

هـ – التعاون على تسجيل « الفولكلور » الشعبي حفظا للتراث الاجتماعي والقومي .

و – العناية بالسينما وحمايتها من الابتذال والاحتكار باعتبار انها وسيلة من وسائل التثقيف بالطرق المناسبة كانشاء مصرف خاص للانتاج السينمائي ، وتكوين هيئات للاشراف الفني ، واستقاء موضوعات السينما والاذاعة والتلفزيون ضمن برامج المعاهد الادبية والفنية .

ز – عقد مؤتمرات عامة تضم رجال الادب والمسرح والسينما والاذاعة والفنون الاخرى المتصلة بالادب لتدارس القضايا المشتركة واغناء الادب العربي .

٧ – يؤكد المؤتمر ان الادباء العرب لا يستطيعون ان يقوموا بهذه المهمات التي يضطلعون بها قياما حقا الا اذا وحدوا جهودهم ونظموا صفوفهم . ولذلك يدعو المؤتمر الادباء العرب الى تكوين جمعيات ادبية في كل قطر عربي تمهيدا لانشاء اتحاد ادبي عربي شامل .

٨ – يصدر المؤتمر في هذه التوصيات كلها عن الاعتقاد بانه ما من شيء يساعد على تحقيق هذه المهمات اكثر من ان يدرك الاديب نفسه مسؤولياته الملقاة على عاتقه نحو مجتمعه ووطنه ومهنته وذاتيته وانسانيته ، ان يكون انتاجه الادبي منبثقا عن هذا الادراك .

٩ – يهيب المؤتمر بالادباء العرب الذين لم يقدر لهم ان يشاركوا في هذه الدورة ان يعملوا متساندين على تبني هذه التوصيات والاشتراك في تحقيقها .

١٠ – يبعث المؤتمر الى المفكرين والادباء في العالم كله نداء يهيب بهم فيه ان يناصروا قضايا الوطن العربي التي تدافع فيها الامة العربية عن مبادىء الحق والعدالة والحرية العزيزة على كل مفكر واديب .

وبعد فان المؤتمر يرفع اسمى آيات الشكر الى صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية على كريم رعايته للمؤتمر ، ويقدم للحكومة السورية ولوزارة المعارف خاصة خالص تقديره

على دعوتها لعقد هذا المؤتمر وعملها في تنظيمه ونجاحه .

ويتوجه بالشكر لحكومة جمهورية مصر على دعوتها لعقد مؤتمر الادباء العرب الثالث في مصر ويتمنى عليها ان يشترك في اللجنة التحضيرية لاعداد هذا المؤتمر ادباء ومفكرون يمثلون بقية البلاد العربية .

مقررات مؤتمر المجامع العلمية

●

يعلن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق من ٢٩ سبتمبر (ايلول) الى ٤ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٥٦ انه حين تنادت المجامع اللغوية العلمية لعقد هذا المؤتمر كانت ترمي الى تحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الامة العربية من مسايرة ركب الحضارة الانسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة . وكان لا بد لذلك من تفاهم تام بين المجامع اللغوية العلمية في شؤون اللغة ورسم مناهج العمل في هذا الشان الخطير حتى تستعيد اللغة العربية سيرتها الاولى التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة وتتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية الماثلة .

وقد درس المؤتمر جملة من المشكلات التي عرضت عليه ورأى فيها ما يلي :

اولا ـ تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية :

آ ـ يوصي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية ينظم الاتصال بين المجامع العربية وينسق اعمالها .

ب ـ يتالف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد يضاف اليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ليس فيها مجمع ، يعينه وزير المعارف في حكومته ويتمتع بما يتمتع به اعضاء الاتحاد .

ج ـ تدعو الامانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد الى الاجتماع في اوقات دورية وتقوم بدفع نفقات اعضائه واقامتهم واجتماعاتهم

د ـ يضع الاتحاد في دورته الاولى نظامه الداخلي ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة .

هـ ـ ينظم الاتحاد الصلات بين المجامع العربية ووزارات المعارف والادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

ثانيا ـ وسائل ترقية اللغة العربية :

آ ـ يرى المؤتمر ان تلزم وزارات المعارف اساتذة المدارس على تنوع اختصاصهم ، القاء الدروس باللغة العربية الفصحى ، في مراحل التعليم كله . وفي معاهد المعلمين خاصة .

ب ـ وان تلتزم الاذاعات العربية اللغة الصحيحة في ما تذيع من الاحاديث ومعظم التمثيليات والاغاني .

ج ـ وان تكون الترجمات للروايات السينمائية باللغة الصحيحة .

د ـ وان يكثر من استعمال اللغة الصحيحة في الروايات المسرحية .

هـ ـ وان يلتزم الشكل الكامل في الكتب المدرسية الابتدائية حتى يعتاد الطلاب سماع اللفظ الصحيح وقراءته ، ويخفف منه شيئا فشيئا في مرحلة التدريس الثانوي حتى تقتصر منه على ما يشكل .

ويرى المؤتمر ان يعنى كل مجمع بجمع الالفاظ الدالة على الاشياء والمعاني الجارية بين الناس ، فاذا كان اللفظ العامي عربي الاصل وقد حرف او صحف ، صحح واستعمل ، واذا واذا لم يكن عربي الاصل نظر فيه لوضع لفظ غيره او اقر استعماله ، ثم تتخذ الوسائل لنشره واذاعته .

ثالثا ـ التاليف والترجمة :

ا ـ يعرض المؤتمر لتشجيع التاليف وحمايته .

آ ـ ان تمنح المجامع المؤلفين جوائز او ان تنوه بتاليفهم .

ب ـ وان تجري مباريات في موضوعات تعينها كل سنة ، وتجيز احسن المتبارين .

ج ـ يوصي بان تهتم وزارات المعارف في البلاد العربية باتخاذ الوسائل التي تضمن ملكية التاليف بين البلاد العربية .

د ـ يطلب المؤتمر الى الحكومات العربية ازالة الموانع والقيود التي تحول دون انتشار الكتب ، واعتبار البلاد العربية وحدة ثقافية ، والغاء المكوس والضرائب التي تفرض على المطبوعات .

هـ ـ وان تصدر الامانة العامة لجامعة الدول العربية نشرات دورية للتعريف بالمطبوعات العربية .

٢ ـ وفي الترجمة يوصي المؤتمر :

آ ـ بان تعمل المجامع على ترجمة الروائع ذات القيمة العلمية والادبية من اللغات الاجنبية وان تضع قوائم بامهات الكتب الجديرة بالترجمة

ب ـ وان تصدر الادراة الثقافية نشرة دورية تبين فيها ما ترجم او ما اخذ في ترجمته او ما تقرر ترجمته الى اللغة العربية .

ج ـ وان تنوه المجامع باحسن الكتب المترجمة او تضع جوائز لها .

رابعا ـ المصطلحات العلمية :

آ ـ يوصي المؤتمر بتعاون المجامع والجامعات وسائر المؤسسات على وضع المصطلحات او تحقيقها .

ب ـ يرى المؤتمر ان يكون اتحاد المجامع المرجع الذي يوحد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والعلماء .

ج ـ ويوصي بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب وقياسية بعض الاوزان والجموع في كتاب تطبعه الجامعة العربية ليكون دستورا للمجامع فيما تضع او تحقق من مصطلحات .

د ـ يوصي المؤتمر الامانة العامة لجامعة الدول العربية باكمال جميع المصطلحات العلمية في كتب التعليم الابتدائي والثانوي في البلاد العربية ، وطبعها في كتاب بعد اقراره من اتحاد المجامع .

هـ ـ يوصي المؤتمر بوضع معجم فرنسي انكليزي عربي شامل للمهم من المصطلحات العربية والمعربة ، على ان تعرف الالفاظ فيه بالعربية العامة بالتعاون مع اتحاد المجامع باخراج هذا المعجم .

و ـ ويوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل لكي تصبح اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات

خامسا ـ تحقيق المخطوطات ونشرها :

آ ـ يوصي المؤتمر ان تتخذ الحكومات العربية التدابير الوقائية الفنية لحفظ المخطوطات من التلف والضياع . وان تصور مخطوطات كل مكتبة ، وان تزود كل مكتبة بآلات تصوير المخطوطات وقراءتها .

ب ـ يوصي المؤتمر بان يعاد طبع عيون الكتب التي نشرها المستشرقون طبعا علميا على ان تعرض على نسخ مخطوطة اخرى اذا امكن ، كما يوصي باكمال السلسلات التي بداها المستشرقون كالمكتبة الجغرافية وغيرها .

ج ـ يوصي المؤتمر بان تعنى المجامع ودور الكتب ومعهد المخطوطات بنشر المعاجم وما في بابها والكتب الكبيرة لانها اقدر بوسائلها المادية والعلمية على التحقيق ، وان تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر على نشر الكتب المتعلقة بقطرهم .

د ـ يرى المؤتمر ان ينسق العمل بين المجامع ومعهد المخطوطات على الوجه التالي :

١ ـ تقريب طرائق نشر المخطوطات في البلاد العربية .

٢ ـ يرسل معهد المخطوطات قوائم دورية باسماء الكتب التي صورها ، الى المجامع .

٣ ـ تتبادل المجامع ومعهد المخطوطات قوائم دورية باسماء ما يحقق من المخطوطات او ما هو تحت الطبع .

٤ ـ يرى المؤتمر ان تشجع المجامع ومعهد المخطوطات تحقيق الكتب القديمة بطبع الكتب الجيدة منها او بمكافاة المحققين المجيدين .

اكتشاف « فوروم » صور

●

منذ مدة ، تقوم دائرة الاثار اللبنانية بحفريات في مدينة صور ، بقدر الاعتمادات المتواضعة الموضوعة بتصرفها .

وفي بطن الارض في صور وصيدا من الاثار ما لا يحصر ، ولكن الحكومة لم تعر موضوع الحفريات حتى الان عناية جدية ، مع ان لبنان بلد سياحة من الطراز الاول . ولو كان فيه متحف كبير ، لرد على لبنان دخلا مباشرا وغير مباشر .

وذهبت الى مدير دائرة الاثار الامير موريس شهاب ، اساله عن حفريات صور ، فوجدته في مكتبه الخاص في صور ، بين الاثار القديمة ، ينقب باحد الكتب الضخمة ، ويقارن بين قطعتين من الخزف ، ويقول :

ـ بين هذه وتلك الف سنة كاملة .

قلت : اليس باستطاعة المعاصرين تزييفها ؟

قال : لا ! الزيف لا يبلغ تمامه ، فيظل هناك نقص اما في المادة او في طريقة العمل !

واستطرد قائلا : تامل هاتين القطعتين لكل منهما تاريخ . فهذه من القرن العاشر ، والثانية من الحادي عشر . ويكتشف المؤرخون هذا التباعد من خلال الصنعة والدقة .

وانتقلنا الى الحفريات الحديثة في صور فراح الامير يحدثني عن تاريخ هذه المدينة العريقة قال :

ـ كانت صور من اهم المدن الفينيقية ، وكانت مؤلفة من عدة جزر تفصل بينها السنة بحرية ، كما هي الحال في البندقية اليوم . وهذه الجزر كانت واقعة على بعض المسافة من الساحل ، فجمع بينها ، ملك المدينة حيرام في القرن العاشر قبل الميلاد ، ونال شهرة واسعة باعماله العمرانية الجبارة ، منها بناء معبد « ملقرت » في اواخر القرن التاسع . وقد طلب سليمان الحكيم من حيرام ملك صور مساعدة لما اراد بناء هيكل القدس .

« وفي اواخر القرن التاسع ، توسعت تجارة صور من المتوسط الشرقي ، الى المتوسط الغربي ، فاسس اهلها بلدة « حدثت » اي المدينة الجديدة . كما نقول اليوم «الحدث» . ولعبت صور آنذاك دورا مهما فاصبحت اكبر عاصمة بحرية وتجارية في العالم القديم ، حتى هاجمها الاسكندر سنة ٣٣٣ ق.م. واضطر ان يصل الجزيرة بالبر ، لانه لم يكن بوسعه التغلب عليها بحرا ، ومنذ ذلك العهد ، اصبحت صور خاضعة لدولة البطالسة حينا ، والسلوقيين اخرى ، ولم تستعد شيئا من استقلالها الذاتي الا في العهد الروماني ، حيث مثلت دورا هاما في التجارة والعلم ، واخرجت عددا من العلماء في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة كالمشترع الاول « البيانوس » الذي كان استاذا في مدرسة الحقوق في بيروت ، اولى مدارس الحقوق في العالم . وقد اثر تشريعه في شرائع العالم الروماني الى مدى بعيد » .

وتابع يقول : وفي العهد البيزنطي مثلت صور دورا هاما اذ ازدهرت فيها صناعة الارجوان والزجاج . وقد ساهمت صور عند الفتح العربي ، في بناء وادارة الاساطيل التي غزا بها معاوية قبرص ورودس . وعقب معركة حطين الشهيرة التي ادت الى استيلاء صلاح الدين الايوبي على القدس ، اصبحت صور ، بعد عكا ، من اهم المدن الصليبية ، وقد توج فيها جميع الملوك الصليبيين .

واشتهرت صور في العهد العربي ايضا بصناعة الفخار المدهون والقيشاني .

اما في عهد المماليك فقد دمرت قلاعها الشاهقة ، وجعل منها العثمانيون مقلعا لما فيها من الحجارة الجميلة . ولم تزدهر بعض الشيء ، الا في عهد الامير فخر الدين المعني . وقد اقام فيها شقيقه الامير يونس . ثم عاد العثمانيون ثانية الى نقل اقبيتها واعمدتها الى عكا للجزار . وفي القرن التاسع عشر نقلت حجارة صور الى بيروت لبناء السراي الذي كان منذ زمن قريب قائما على البرج .

هذا هو تاريخ صور وحلقاته المتتابعة كما رواها الامير موريس شهاب بايجاز !

قلت لمدير الاثار : والان اين وصلتم في حفرياتكم ؟

قال : لقد اكتشفنا سوقا رومانية ضخمة « فوروم » من النوع الذي اشتهر الرومان بانشائه في كل مدينة هامة . واصل الاكتشاف انني زرت قبل مدة مكانا في ضاحية صور ، فلاحظت على مسافة طويلة ، وعلى سطح الارض قطعا منثورة من الاعمدة الرومانية ، فاوفدت معاوني جورج سمسون ، وهو روسي الاصل ، لاجراء بعض التحقيقات الاولية . وقد اسفرت اعمال الحفر التي توسعت في ما بعد ، عن اكتشاف سوق ، تحف بها اعمدة لا يقل قطرها عن ٩٠ سنتيمترا ، وطولها ٨ امتار . وهذه الاعمدة هي من الرخام المعرق بالازرق المخضوضر ويعرف بـ « السيبولدن » ، وقد كان يؤتى به من الاناضول !

وخرجت مع مدير الاثار الى مركز الحفريات ، حتى بلغنا السوق التي برزت اخيرا الى الوجود ، فاذا نحن امام ارصفة تلتصق بجوانبها حوانيت ، وعرض الشارع ١١ مترا . مرصوف بالفسيفساء .

واشار جورج سمسون الى بقعة ارض ترتفع قليلا عن السوق وقال :

ـ انظر هنا ، ففي اواخر العهد البيزنطي رصف الشارع بالرخام ، ولا تزال السوق القديمة واضحة المعالم !

وفي مكان اخر منها بناء مستطيل الشكل يبلغ طول جوانبه ٤٥ مترا وله خمسة مقاعد على جهاته الاربع تؤلف سلالم طويلة . وكان للملوك في اجتماعاتهم الرياضية الدينية . وهذا البناء هو فريد التخطيط وفقا لعادات وعقائد معينة .

وانتقلنا الى الجهة الشمالية ، فقال لي المدير شهاب بغضب ونقمة ، ملوحا باصبعه :

ـ انظر .. هذه الاراضي هي ملك للدولة ، وكلها غنية بالاثار .

ومع هذا ، يرى فيها البعض رزقا سايبا ... فيقيمون الجدران والاسلاك ، ويدعون ملكيتها ! لقد رفعت دعوى ضدهم ! حرام هذه الآثار العظيمة ان يمحو معالمها الاغتصاب !

ثم اشار الى مقبرة تخفي آثارا شيقة ، يريد ان تبرز للجيل الحاضر لا ان تذهب طمسا .

قلت لمدير الاثار : هذه الاعمدة ... من اين اتوا بها ؟

قال : هذه الاعمدة هي من الفرانيت الاحمر ، وقد جيء بها من اسوان في مصر .

وحول عمود رخامي قال الامير شهاب :

ـ هذه الشوارع الكبيرة المرصوفة بالفسيفساء تعلن عن ازدهار المدينة في ذلك العهد .

ونحن نسعى الى رفع الانقاض التي تغطي آثار العهد الروماني . وقد وجدنا في البناء المستطيل اثارا لمصانع زجاج ، وعظام ، وفخار ، وقيشاني . كما وجدنا ايضا اثارا لآبار وافران لصنع القيشاني ، وغيرهما مما يدل على ازدهار هذه الصناعة آنذاك .

قلت : هل وجدتم في هذه الحفريات ، تماثيل للملوك قدماء ؟

قال : مع العلم ان حفرياتنا تجري على عمق لا يتجاوز ثلاثة امتار ، فانها اعطت عددا كبيرا من قطع لتماثيل رخامية ، كالامبراطور هودريايونس ، وكتابات يونانية ولاتينية تحوي اسماء وجهاء المدينة والمشرفين على الاسواق .

وقال : في العهد الماضي كان منصب الاشراف على السوق موضع التنافس . وكان الطامع بهذا المنصب يدفع كثيرا ، و « يبرطل » كما يجري في ايامنا احيانا !

قلت : هل توجد آثار اخرى غير هذه ؟

قال : بكل تاكيد ، تحت الرمال المحيطة بالمدينة عدد من النواويس الرخامية والاعمدة .

قلت : هل ستحدد حفرياتكم شيئا جديدا في تاريخ صور !

قال : النتائج بيد الله !

ثم قادني الى احدى الثغرات وقال :

ـ هنا وجدنا عظام انسان ، وحمار .. لقيا حتفهما تحت ردم الحجارة لقد كان المسكين يبحث عن الكنوز فمات .

[الحياة] سامي غميقة

لمحة عن تاريخ موسيقى الجاز

•

مدينة نيواورليانس هي من المدن الاميركية المعروفة عبر الاجيال بعلاقاتها وصلاتها مع العالم القديم . رأت النور عام ١٧٧٨ وتوالى على ادارتها تباعا الفرنسيون والاسبان قبل ان تصبح عام ١٨١٢ مدينة اميركية فهي تقع عند مصب نهر الميسيسيبي ولم تلبث ان تصبح مرفأ كبيرا نشيطا ومقصدا للمرتزقة يؤمونها من جميع انحاء اميركا . وآلت معظم الاشغال التي تتفتح عنها حركة الاعمال والاتجار في المدينة الى الزنوج الاميركيين كل هذا ، انما يشير بوضوح الى شتى العوامل والمؤثرات التي تفاعلت في هذه المدينة فجعلت حياتها الحضرية نسيج وحدها بين المدن الاميركية الكبرى .

ففي هذه المدينة ، وفي مقاهيها الشعبية ومرابعها الفنية ظهرت موسيقى الجاز في مطلع القرن العشرين وهي موسيقى رقص وغناء شاعت في اوساط الزنوج مصحوبة دائما بالاغاني والاناشيد الشعبية ، ورقص الفروسية والاناشيد العسكرية ثم اضيف الى ذلك كله اهازيج اسبانية واغان شعبية . كل هذه العناصر الفنية تعاملت وتفاعلت لتخرج لنا في النهاية ما يعرف اليوم بموسيقى الجاز.

وسارت موسيقى الجاز فوق النهر على القوارب الماخرة عباب تياراته حتى انتشرت في المدن الكبيرة الاخرى الواقعة على مجراه كمدينة منفس وسانت لويس وشيكاغو وكنساس. واخذت موسيقى الجاز هذه تتلون في كل من هذه المدن وتتخذ لها طابعا محليا خاصا عرفت به كما انها انتشرت في كثير من مرابع البلاد حتى بلغت سان فرنسيسكو غربا ونيويورك شرقا . وهكذا ظهر في البلاد خلال النصف القرن الماضي تيارات شتى لموسيقى الجاز تشكل فيما بينها مدارس متباينة .

وكان كبار الموسيقيين الكلاسيكيين والنقاد ينظرون الى موسيقى الجاز نظرة هزء واستخفاف فلم يكن هذا النوع من الفن الموسيقي سوى موسيقى راقصة من النوع الخفيف ليس الا . غير انهم اخذوا بما في هذه الموسيقى الراقصة الجديدة من قوة الاثارة وما فيها من سحر وايقاع يتغلغلان في مطاوي النفس . وما لبث هؤلاء النقاد ان اعترفوا بانهم امام نوع جديد من الموسيقى ، اميركية الطابع ، تشيع الحرارة في النفس وتطلق فيها القلق ، مرض النفوس في القرن العشرين .

وقد ذاعت موسيقى الجاز في كثير من البلدان التي بقيت حتى الان وقفا على الموسيقى الكلاسيكية ، بفضل هذا الطوفان العارم من الاسطوانات الموسيقية التي غمرت الاسواق .

وقد اسهمت المدن الاميركية الواقعة على الساحل الغربي في تطهير هذه الحركة الفنية في الموسيقى الراقصة وساعدت على تجديدها وتكميلها ، وذلك بردها الى طابعها الاصلي كما ظهر في مدينة نيواورليانس .

وقد ظهر بوضوح ما لهذه الموسيقى الجديدة من وقع وسحر في النفوس اثناء اعياد الجاز التي احتفل بها في رودايلاند ، في صيف ١٩٥٤ والمعروف ان مدينة نيويورك اصبحت اليوم كعبة الاثرياء وسراة القوم في اميركا الذين يطلبون الاستجمام والراحة . وقد جاء التوفيق الذي حالف هذه الاعياد والحفلات شاهدا ليس على نجاح هذه الموسيقى المثيرة فحسب بل ايضا تؤلف حلقة جديدة في تاريخ هذا النوع الجديد من الموسيقى .

الشرق في الموسيقى الكلاسيكية

•

لا يجد المرء في اية ثقافة موسيقية من ثقافات بلدان اوروبا ما يجده من عناصر شرقية في الموسيقى الروسية . فتاريخ الاستشراق الموسيقي الروسي يعود الى مخائيل غلينكا مؤسس الموسيقى الكلاسيكية الروسية . ونستطيع القول دون ان نخشى المبالغة ، بان غلينكا كان اول مستشرق للفن الموسيقي في اوروبا ، فهو اول من ادخل الحان وانغام الموسيقى الشرقية في النتاج الموسيقي الاوروبي معتبرا هذه الالحان والانغام عناصر تساوي بقيمتها عناصر الفن الموسيقي لدى شعوب اوروبا . ولا يجد المرء ، قبل غلينكا في النتاج الموسيقي الاوروبي الا لمحات ذات لون « شرقي » غامض ، وفي اثار قليلة العدد. يجد المرء ، مثلا ، شيئا من هذا القبيل لدى موزارت في اوبرا « خطيفة في السراي » . ولدى ويبر في « الاوبيرون » . وعلى كل حال ، لا يتعلق الامر في كلا الحالين حسب التحديد الصائب جدا الذي اعطاه الناقد الموسيقي الروسي الشهير ف . ستاسوف ـ الا « ببعض اللمحات واللفتات الميلودية الشرقية ، ومحاولات لاستخدام هذه اللفتات للحصول على ما يسميه الفرنسيون بلون محلي » . وليس ثمة ملحن اوروبي تجاوز الاطار الذي رسمنا قبل غلينكا . كان غلينكا ـ كما قال ستاسوف ـ الملحن الوحيد « الذي تناول الحانا شرقية تامة وعرف كيف يستوعبها ثم كيف يطبق على هذه الالحان جميع وسائل وثروات الموسيقى المعاصرة ، دون ان يخرق قوانين هذه الالحان وتركيبها وطبيعتها »

واهم ما في الامر انه لم يعد يوجد ـ بالنسبة لغلينكا ـ موسيقى « شرقية » ذات نمط واحد . كلا ! فان اوبرا « روسلان ولو دميلا » الرائعة التي وضعها غلينكا تحتوي على الحان للرقص والغناء ، عربية ، وفارسية ، وتركية وجورجية ، تحتفظ كل منها ، بوضوح ، بطابعها الخاص . فمقطوعته الشهيرة « الجوقة الفارسية » التي تؤلف الفصل الثالث من هذه الاوبرا هي نموذج للتطور الحر للميلوديا الايرانية حسب قواعد الموسيقى الاوروبية يرافقها ايقاع في غاية المهارة . ويمكن القول ان غلينكا قد قلب رأسا على عقب الفكرة التقليدية القائلة باستحالة ايقاع النغم الشرقي الوحيد الصوت ومصاحبته بموسيقى ايقاعية . في « الجوقة الفارسية » التي كتبها غلينكا ، نجد ان الاغنية الرائعة : « الليل يهبط على الحقول » ـ التي تكاد تذكرنا بروعة اشعار حافظ وسعدي ـ نجدها امينة لروح الموسيقى الفارسية ولطابعها الجمالي ـ نجد هذا النغم مصحوبا على الطريقة الاوروبية بوصلات تجمع بين النوطة السفلى والعليا . والنوطة العليا هذه لا تزيف بشيء طابع الموسيقى الوطني ـ خلافا لما يعتقد جميع النظريين الاوروبيين تقريبا وغالبية النظريين الاسيويين ـ بل هي تضفي عليه الكثير من الجمال .

وان الجزء الشرقي المتناهي الكمال من مقطوعة « الفارس غازار رطمير » والرقصات التركية المتالقة وكذلك الرقصات العربية ورقصة ليزغينكا المضطرمة ، الداغستانية النغم ، جميعها متناسقة النغم بصورة عبقرية . ان مقطوعة راطمير مستوحاة من موسيقى الشرق المعاصرة للملحن الذي لم يكن يعرف شيئا عن موسيقى الشعب الغازاري هذا الشعب الذي اختفى عن حلبة التاريخ منذ زمن بعيد . بيد ان غلينكا يصل في هذه المقطوعة الى اقصى درجات تعمق الشاعرية الموسيقية لدى المغنين العرب والفرس المسمين ـ اشوغ ـ . ويكفي المرء ان يصغي بانتباه الى لحن رطمير (الفصل الثالث من اوبريت « روسلان ولودميلا ») وخصوصا الى اغنية رطمير في الفصل الخامس كي يلمس طريقة غناء الاشوغ الحقيقية ، ويتحسس الميزات الالقائية والموسيقية، ويتبين فيض الزخارف الموسيقية. والواقع ان كل من يستمع ، ولو مرة واحدة ، الى اغنية رطمير المفعمة بالضنى الغرامي ، او الى لحنها ، لا يمكن الا يحتفظ في قلبه الى الابد بصورة المراهق ذي العينين السوداوين المشوق الرشيق الذي يشبه فتاة ايرانية

صغيرة رشيقة في القرن السادس عشر .

وليست اوبريت « رسلان ولودميلا » هي القطوعة الوحيدة التي يهتم فيها غلينكا بالمواضيع الشرقية . فالواقع انه يوجد بين مقطوعاته الغنائية اثار شرقية عديدة ، نخص بالذكر رائعته « لقد التهب الدم بنار الرغبة » ، التي نظم ابياتها الشاعر بوشكين . وانك لتجد تقريبا ، بعد غلينكا ، مقطوعات شرقية عند جميع الملحنين المنتمين الى المدرسة الروسية الجديدة اي « فريق الخمسة » . ولا مشاحة ان رائعة الاستشراق في الاوبرا الروسية ، بعد « رسلان ولودميلا » هي الفصل الثاني من اوبريت « الامير ايغور » التي وضعها الموسيقار بورودين ، والتي تدور حوادثها في معسكر البولوفيتز الحامل اسم « معسكر البولوفيتز » ومعلوم ان البولوفيتز هؤلاء او « كومان » السهوب كما يدعون قد انقرضوا منذ زمن طويل . وقد استند بورودين في الاوبريت التي كتبها وبعث فيها الحوادث الدرامية التي عرفتها روسيا في حياتها القديمة ، استند على الفرضية الاقرب الى الاحتمال ، القائلة بان البولوفيتز هم من اصل اسيوي (البولوفيتز هم شعب من اصل تركي) .

وليس الفصل هذا برمته سوى قصيدة سمفونية رائعة يبلغ فيها بورودين ذروة فن التلوين . ان الحان الاغاني والرقصات الشرقية تدهش السامعين بفني تلوين جرس الاوركسترا السمفونية الحديثة ، اذ تواكب هذا التلوين مهارة التاليف الصوتي والابداع والفن في كتابة الموسيقى الراقصة .

ان الرقصات الاولى في الفصل الثاني تنقل السامع الى جو شعري كجو امسية صيف في احدى السهوب ، اذ ينطفىء اوار النهار ويحمل النسيم شذى الازهار والاعشاب . ويتصاعد صوت نقي جهير ترسله فتاة من البولوفيتز ، صوت يترنم باغنية عذبة تصاحبه اصوات الكلارينات والباسون الخافتة يا لها من اغنية رائعة الجمال :

« تذبل الزهرة الصغيرة اذ تلوحها الشمس تذبل من نضوب الماء وتجف الزهرة المسكينة وتحني رأسها واوراقها حزينة بائسة » .

ثم تترنم الفتاة بمقطوعة صامتة حزينة . وتعود الموسيقى مرة اخرى فتسمع صوت البوق الانكليزي تصاحبه انغام الالات الوترية . وفجاة ... تلمع ضربات الصنوج وكأنها اللهب يندلع ... وتندفع فتيات البولوفيتز في رقصة صاخبة . يا لها من موسيقى شرقية اخاذة ، تنضج بالانغام الصاعقة اللولبية ، وتموج بتوتر يكاد يكون كهربائيا ، وتمور بطاقة داخلية هائلة ! ليس ثمة من يستطيع الاصغاء الى مثل هذه الموسيقى دون ان يعيرها اذنا واعية !

وهاك نموذجا اخر عن الاستشراق في موسيقى البرنامج السمفونية : هي عبارة عن لوحة سمفونية لبورودين اسمها « في اسيا الوسطى » . انها موسيقى توحي بالصحراء في اسيا الوسطى ، الصحراء اللامتناهية الممتدة كبحر من رمال . ويسمع المرء من بعيد غوغاء قافلة تقترب تحميها فرقة عسكرية روسية . وتدوي الاغنية الروسية ثم تتداح انغامها ، وتليها الاغنية التركمانية . وتبتعد القافلة تبتعد شيئا فشيئا ، وتنطفىء ضجة الحوافر ، ولا يبقى من خبب الاخفاف غير اثر خافت . وتتمازج الاغنيتان الروسية والتركمانية تمازجا عجيبا ، وتبدو وكأنها تذوب في ضباب الصحراء الكابي . ان لوحة « في اسيا الوسطى » من اعمال بورودين هي مشهد موسيقي واقعي رائع ، انها نموذج لتصوير موسيقي يتلمس عن كثب خصائص اسيا الوسطى في تراث الرسام الروسي الاشهر فيريشتشاغين .

ويحتل الشرق مكانا مرموقا في موسيقى رمسكي كورساكوف . فمقطوعة « عنتر » وسمفونية « شهرزاد » هما لؤلؤتان من لآلي الفن السمفوني . فان مهارة التوزيع الالي ، وغنى التلوين في سمفونية « شهرزاد » يجعل منها مقطوعة لا مثيل لها في الموسيقى العالمية . لقد اقتبس رمسكي كورساكوف موضوع « شهرزاد » من كتاب « الف ليلة وليلة » ، في حين استوحى مقطوعة « عنتر » من قصة المستعرب الروسي الاشهر سنكوفسكي : « البارون برامبيك » . ان هاتين القطوعتين السمفونيتين اللتين تمثلان ذروة التراث الشرقي الذي خلفه رمسكي كورساكوف ، ليستا كل ما تركه لنا الملحن الروسي الكبير من مؤلفات ذات طابع شرقي . فهناك عينيات جميلة اخرى من هذا النوع نخص بالذكر منها : مجمل مقطوعة الملكة شيماهانسكايا في اوبريت « الديك الذهبي » ، وعددا كبيرا من الاغاني نخص منها بالذكر اغنية « على هضاب جورجيا » من وضع الشاعر بوشكين ، واغنية اخرى « اغنية شرقية » (البلبل الذي احب الوردة ..)

ومن العسير ان نتحدث هنا ، ولو بايجاز ، عن العديد من المؤلفات الشرقية التي لحنها الملحنون الروس امثال بالاكيريف وايبوليتوف ايفانوف وغيرهما . فلقد خلق هؤلاء نماذج كلاسيكية للموسيقى الشرقية نخص بالذكر منها الفانتيزي على البيانو « اسلامي » من وضع بالاكيريف التي كتبها على ايقاع الرقص الكاباردي الذي يحمل عين الاسم . وقد كانت هذه المقطوعة موضوع تقدير الموسيقار ليست . كما نذكر « مسودات قفقازية » من وضع رايبوليتوف ايفانوف الخ. . عند هذا المقدار نختتم مقالتنا هذه . بيد ان الذي يريد ان يفهم المبادىء الجمالية التي كانت اساسا للمدارس الحالية للموسيقى السمفونية الشرقية في جمهوريات ازربيجان واوزبكستان وطاجكستان وكازخستان وقيرغيزيا وتركمانيا ، عليه ان يعود الى مناهل الاستشراق الموسيقي الروسي ، هذا الاستشراق الذي لعب دورا هاما اذ كان مصدر الهام في مؤلفات جميع الملحنين المعاصرين .

ف. غوردنسكي

القلق الروحي في موسيقى شومان

●

منذ مائة عام مضت فقد العالم شومان دون ان يفقد حتى الان رغبته في معرفة علة ماساة هذا الموسيقي الانساني الكبير الذي ادركه في اعوامه الاخيرة قلق روحي رهيب انتهى به الى شلل عقلي تام . وطالما تحدث شومان نفسه عن هذا الاضطراب حتى طلب اخيرا عزله في مصح عقلي . وحاول شومان الانتحار ، ولم يمض عامان بعدئذ حتى توفي دون ان يتجاوز السادسة والاربعين من عمره . كان ذلك في صيف عام ١٨٥٦ .

وشومان شأن الكثيرين من معاصريه كان يسعى الى التوثيق بين الفنون جميعا ، فوقف في بدء حياته الفنية بين الشعر والموسيقى . وكان عام ١٨٣٠ عند ما عرف موسيقى باجانيني واختار الموسيقى اخيرا وسيلة وحيدة للتعبير عن روحه الجياشة ، دون ان يفكر في ان يصبح هذا المؤلف الموسيقي الذي عرفه العالم حتى اليوم . وبدا تعليمه الموسيقى في سن العشرين وتتلمذ في تعلم البيان على فريدريك فيك الذي اصبح بعدئذ حماه اللدود . ولم تكن كلارا فيك الا طفلة يوم زار شومان اباها للمرة الاولى ، ولكنها لم تلبث ان اصبحت اشهر عازفة بيان في المانيا في ذلك العصر . وعاشت كلارا عونا لزوجها تعزف موسيقاه . وظلت له هذا العون « حتى شفة الهاوية » .

ولكن شومان قبل ان يتزوج كلارا بوقت طويل ، استطاع ان يكشف في نفسه عن سمة عميقة من سمات روحه ، هي نزوعه الى التفوق على قواه الطبيعية ، وهي من بعد الدافع الى ماساته . واراد شومان لدوافع فنية تتعلق باسلوبه في العزف ان يعزل بنصره اثناء العزف مستخدما لذلك جهازا خاصا ،

فكانت النتيجة عجزا اصاب الى الابد اصابعه فتوقف عن العزف وبدات منذ تلك الحادثة الاليمة مهمته الفنية كمؤلف موسيقي .

وظل شومان اعواما طويلة لا يؤلف الا مقطوعات تعزف على البيان ، آلته الموسيقية المفضلة وتتميز بالطرافة طريقته في تصور موسيقى البيان ، فقد اراد ان يخلق من اصوات الاوركسترا المتعددة ثروة جديدة من التأثيرات النغمية ، وانصت اليه يقول « ان الموسيقى والانسان في داخلي يتحدثان في وقت معا . وكان يعني بذلك انه يعبر بالموسيقى عن الانفعالات العميقة التي تؤدي اليها تجاربه الانسانية . والحق ان بعض مؤلفاته يوحي بقدرته على التحرر احيانا من حسه العميق بالشقاء ، وان تتحرر من هذا الشعور الخفي المظلم الذي جثم على حياته طوال ايام حياته .

ويعتبر كفاح شومان في سبيل التوفيق بين الحياة والفن صراعا طالما تميز به العصر الرومانتي فقد عاناه كثير من الفنانين المعاصرين، واننا لنكشف عنه مثلا في اعمال توماس مان .

والحق ان الرومانتيين قد واجهوا صعابا جمة ، فطالما اتهموا بالضعف والانانية الصبيانية ، واصطدموا باحكام متعصبة عنيفة ، وغالبا ما حملهم « المجتمع » على ان يدفعوا غاليا ثمن استقلالهم .

ولا شك لم يات صدفة ان وضع شومان موسيقى لشعر هايني في عام ١٨٣٩ . ولم يكن هايني — وقد توفي في نفس العام الذي توفي فيه شومان — لم يكن اكثر حظا من صديقه الموسيقي ، فقد عانى من قسوة المجتمع اشد العناء .

وكان عام ١٨٤٠ — ويسمونه عام الاغاني — اسعد الاعوام في حياة شومان . فبعد كفاح عنيد طويل تزوج الموسيقي عزيزته كلارا ، على الرغم من مقاومة ابيها . وكان شومان زوجا مخلصا وابا كريما لسبعة ابناء ، على الرغم مما يتهم به الرومانتيون من اضطراب وعدم اتزان .

ولا شك كان الرومانتيون غالبا انانيين ، ولكن شومان كان بعيدا عن التفكير في مجرد نفسه وان اصابته في اغلب الاحايين نوبات ضيق نفسي . وعندما اقتربت النهاية ووهنت صحته اراد ان ياخذ بيد مؤلف موسيقي ناشيء كان ما يزال حتى ذلك المهد مغمورا ، ونعني به جوهان براهمز . ونقرأ له يكتب على اثر زيارة براهمز له في عام ١٨٥٣ : « لقد جاءني هذا الرجل كما لو كان الله ارسله » .

ولكن هذا الانتعاش الروحي المفاجيء لم يكن الا مقدمة مضيئة لانهيار اخير . فقد اختل توازن شومان النفسي والجسمي نتيجة لمجهوداته الخارقة رغبة منه في سيطرة كاملة على مختلف الصور الموسيقية . وكانت له زوجته كلارا خير رفيق وسند وان ساءت صحته ، واستطاع ان يضع سيمفونياته ثم موسيقاه المسرحية . وابان شومان عن غريزة الشاعر فيه وهو يحدد اختياره في مؤلفات بعينها كفاوست ومانفريد . واما الاوبرا التي وضعها بعنوان « جنيفيف » فلم تلق اي نجاح . وقد يعزى هذا الفشل الى تردد شومان طويلا بين الشعر والموسيقى دون ان يستطيع لتاليف بينهما في الحياة .

ولا يستطيع المؤرخون للتطور الموسيقي ان يقارنوا شومان وبرليوز او فاجنر ، ولكنهم لا شك يضعونه بين اكبر ممثلي المدرسة والموسيقى دون ان يستطيع التاليف بينهما في خلفها للعالم موسيقى خالدة .

فرانشيسكو تانزر

الموسيقي لويس ارمسترونغ

يتمتع لويس ارمسترونغ بشهرة عالية بين رجال الفن ونقاده عازفا ومؤلفا وشاديا . فهو ولا شك في الطليعة بين محترفي موسيقى الجاز في اميركا ، وهو من مشاهير اعلام هذا الفن في العالم طرا . فبعد ان طاف اوروبا خمس مرات توافد خلالها المتفرجون للاستمتاع بموسيقاه اخذ هواة الفن في تلك البلدان يلقبونه « بالبابا » تدليلا على ما يكنون له من محبة وعطف ، ويؤلفون لموسيقى الجاز نوادي في كل مدينة او حاضرة من حواضرهم الكبرى .

ولد دانيال لويس ارمسترونغ في مدينة ايرليانز من اعمال جامعة لويزيانا ، في الرابع من تموز ١٩٠٠ وقد كان بعد حدثا يافعا عندما شكل مع فريق من اخوانه جوقة فنية اخذ يذرع بها شوارع تلك المدينة ينشدويغني اناشيد الجاز ، وآلته كمان من اربعة اوتار تتالف من صندوق لفائف الدخان واسلاك من النحاس .

تلقى دروسه الفنية الاولى على يد المغني يونك جونز وعلمه كيف يستعمل الناي قبل ان يحسن قراءة النوطة ، فاخذ منه وقبس ما شاء له الاقتباس .

حصل « ستشمو » وهذا لقبه على الناي عندما اشترك لاول مرة في فرقة غنائية مثلت في احد ميادين نيو اورليتز . وكان له اذ ذاك من العمر ما يزيد على ١٤ سنة ، ومع ذلك فقد كان يعرف تماما ما الذي يرغب فيه . فلم يكن سنه ليسمح له بعد بالاشتراك بآية فرقة غنائية ، فعمل مدة يبيع الجرائد ومسح الاحذية ليقوم باوده مستعملا فراغه لتجويد الموسيقى مترقبا الفرص المؤاتية .

وكان لويس في تلك الاثناء يختلف الى احد النوادي حيث كان « كنج » اوليفر يعزف على البوق في احدى الفرق الغنائية . وقد اخذ اوليفر يلقن لويس دروسا في التعليم على البوق حتى انه كان يسمح للموسيقي الفتى ان يشترك احيانا في العزف مع الجوقة .

وفي عام ١٩٢٢ صحب « ستشمو » كنج اوليفر الى شيكاغو من اعمال ولاية ايلينوي وعمل في فرقته بوصفه نافخا ثانيا بالبوق ، وقام فيها باولى تسجيلاته ثم التحق بعد قليل بفرقة اولي بوارز بوصفه نافخا اولا في في الفرقة المذكورة على البوق يعزف اللحن والغناء الذي يرغب فيه . ومنذ ذلك الحين قرر لويس ان يترك الناي وينصرف بكليته للبوق ، فكان الناس يتدافعون لاستماع اناشيد موسيقى الجاز التي يعزفها كما يبعث فيهم الحماس بغنائه الشجي .

وصل فنه اوربا فتنبه الناس فيها لما فيه من شجون . ولما قرر ان يزور لندن قام المئات من هواة الفن يرحبون بمقدمه الى تلك المدينة . فهو لا ينسى الاستقبال الذي اقيم له في فندق امباسادور .

عمل لويس وعاش حياته كلها للفن . وهو ، اذا طلب اليه احد الغناء ، اطبق عينيه واخذ يبدع في الانشاد . فهو في نفخ البوق لايبارى . فقد استطاع ان يدرب شفتيه ويعود فكه وعضلات بطنه بحيث يستطيع ان يمضي اطول مما يستطيعه اي نافخ غيره . وله من القوة والمتانة ما لا يستطيعه اي لاعب بالبوق غيره . فتنطلق النبرة قوية شديدة فيها من الرقة والنعومة والشدة ما لا يذهب بشيء مما فيها من ايقاع ورخم .

والغرب من هذا كله ، فان ما يعرفه الاميركيون عن ستشمو هو انه ممثل ومن نجوم السينما والمسرح وليس نافخا بالبوق ومغنيا فقط . فقد سبق له ان سجل منذ ١٩٢٣ اكثر من ١٠٠٠ اسطوانة يباع بعضها باكثر من ٢٠ دولارا ومن بين اغانيه المسجلة المشهورة شاين — تشاينانون — تيجرراغ — ليس لك عندي غير الحب — جزيرة الكنز — وغير ذلك .

ومن اغانيه والحانه المدهشة الذائعة الصيت « اذا لم نلتق مرة اخرى » .



١٧ سبتمبر ١٩٥٦ ـ قدمت مصر مذكرة الى رئيس مجلس الامن اشتكت فيها من استعمال بريطانيا وفرنسا اساليب القوة للضغط عليها في قضية قناة السويس .

١٩ ـ انعقد مؤتمر لندن الثاني بحضور الدول الـ١٨ وظهر فيه انقسام بين هذه الدول بصدد المنظمة المقترحة لمستعملي قناة السويس وقال كثرة الاعضاء بضرورة رفع النزاع الى مجلس الامن الدولي .

٢٠ ـ اجتمع في الدمام [منطقة الظهران السعودية] الملك سعود والملك فيصل

٢١ ـ انتهت محادثات الملكين سعود وفيصل وقد صدر بلاغ مشترك جاء فيه ان الملكين اجتمعا وتبادلا وجهات النظر في ما يتعلق بخير البلدين ومصلحة البلاد العربية جمعاء واتفقت وجهات نظرهما على ان تستهدف سياستهما ما يتفق ومصلحة الامة العربية

ـ ختم مؤتمر لندن الثاني بشان القناة اعماله واذاع نتائج هذه الاعمال بوثيقتين الاولى بيان باعمال المؤتمر وخطة الدول المشتركة به والثانية بيان يعلن كيفية انشاء منظمة مستعملي قناة السويس .

٢٢ ـ عقد اجتماع في الدمام بين الملك سعود والرئيس عبد الناصر والرئيس القوتلي

ـ اطلق مجهول النار على رئيس جمهورية نيكاراغوا انستازيو سوموزا فاصابه اصابات خطرة وقد فتك الجمهور بالقاتل .

٢٣ ـ بدا مجلس الامن الدولي استعداداته لعقد اجتماع بناء على طلب فرنسا وبريطانيا لبحث قضية قناة السويس

٢٤ ـ طلبت مصر الى مجلس الامن الدولي ان ينعقدلبحث بتصرفات بريطانياوفرنساضدها.

ـ انتهت محادثات الملك سعود والرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي وغادر الرئيسان الرياض وصدر بلاغ مشترك عن مؤتمر الثلاثة واتحاد وجهات النظر فيالقضايا التي تعالجها البلاد العربية .

ـ وصل الى الرياض البنديتنهرو رئيس وزراء الهند في زيارة ودية تستغرق ثلاثة ايام

٢٥ ـ وجه الجنرال اديسون كبير المراقبين الدوليين مذكرة الى دافيد بن غوريون حذره فيها من اللجوء الى الاعمال الانتقامية على اثر حادث رامات راحيل الذي تسبب في مقتل ثلاثة يهود وجرح ١٦ على اثر اصابة جندي اردني بنوبة جنون واطلاقه النار

٢٦ ـ اجتمع مجلس الامن الدولي لبحث الشكوى البريطانية الفرنسية والشكوى المصرية المتعلقة بالاحوال الناشئة عن مشكلة قناة السويس وقد اشتبك الوفد السوفيتي ووفود الغرب في مناقشات حامية بشان اعطاء الافضلية لهذه الشكوى او تلك . ثم أقر المجلس وضع الشكوى البريطانية الفرنسية في جدول الاعمال كما اقر المجلس ادراج شكوى مصر .

ـ قامت قوات اسرائيلية تقدر بلواء كامل مع المدفعية بشن هجوم واسع النطاق على مراكز القوات الاردنية .

٢٧ ـ غادر الماريشال تيتو بلغراد قاصدا الاتحاد السوفياتي بطريق الجو بصحبة الرفيق نكيتا خروشوف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفياتي وكان خروشوف قد وصل الى يوغوسلافيا منذ اسبوع لزيارةوصفت بانها خاصة اجرى خلالها محادثات سرية مع الماريشال تيتو .

٢٩ ـ يجري وزير خارجية الاردن السيد عوني عبد الهادي في بغداد محادثات مع المسؤولين العراقيين بشان دخول القوات العراقيةالى الاردنلترد عنها اي اعتداءاسرائيلي

ـ توفي رئيس جمهورية نيكاراغوا السيد انستازيو سوموزا متاثرا بجراحه .

اول اكتوبر ١٩٥٦ ـ اطلق سراح اميرال الاسطول الالماني الاكبر كارل دونيتز بعد انقضى عشرة اعوام في سجن شباندو بوصفه مجرم حرب وكان قد تسلم منصب فوهرر المانيا لايام معدودة تلتوفاةهتلر ووقعوثيقة استسلامالمانيا.

٢ ـ صرح المستر داليس ناظر الخارجية الاميركية بوجود خلافات بين امريكا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة ثانية بشان الخطوة الثانية التي يجب اتخاذها في قضية قناة السويس ونفى ان يكون للولايات المتحدة اي تفكير باثارة حرب اقتصادية على مصر .

٤ ـ صدر بلاغ مشترك عن محادثات وزير خارجية الاردن التي اجراها في بغداد جاء فيه ان ابحاثا ودية وصريحة جرت حول المساعدة العسكرية للاردن .

٥ ـ غادر الماريشال تيتو الاتحاد السوفياتي عائدا الى يوغوسلافيابعد ان اجرى محادثاتسرية مع السيد نكيتا خروشوف وسائرالزعماءالسوفيات

ـ المعارك لم تنقطع في الجزائر وهي دائمة بين قوات المجاهدين الوطنيين والقوات الفرنسية

٦ ـ صرح السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ان قضية الاتحاد بين سوريا ومصر امر مفروغ منه وسيتم نهائيا في وقت قريب جدا .

٨ ـ استانف مجلس الامن الدولي مناقشاته بقضية قناة السويس واستمع المجلس الى بيان الدكتور محمود فوزي وزير خارجية مصر والرفيق ديمتري شبيلوفوزير خارجية السوفياتوقدرفضا المشروع الذي تقدمت به بريطانيا وفرنسا لوضع القناةباشراف منظمةدولية

٩ ـ اوقفت قيادة الجيش الاندونيسي عددا من الضباط بتهمة محاولة قلب الحكومة

ـ عقد مجلس الامن اجتماعا سريا ليتيح للطرفين المتنازعين على قناة السويس الفرصة لتسوية النزاع سلميا عن طريق الدبلوماسية .

١٠ ـ قابل وزير الخارجية الاردنية السيد عوني عبد الهادي الرئيس جمال عبد الناصر وابلغه نتيجة محادثاته في بغداد ودمشق بشان المساعدات العربية العسكرية والمالية التي تحتاج اليها الاردن

١١ ـ هاجمت بلدة قلقيلية قوات اسرائيلية كبيرة تساندها الطائرات واصطدمت فيمعركة عنيفة مع القوات الاردنية التي تمكنت من صد الهجوم وكبدت المهاجمين خسائر فادحة .

١٢ ـ اذاعة المصادر الاسرائيلية بان بريطانيا وامريكا تبحثان مع اسرائيل في قضية دخول الجيش العراقي الى الاردن . وتعتبر اسرائيل ان دخول قوة عسكرية عراقية الى الاراضي الاردنية خرق لاتفاقية الهدنة .

١٣ ـ بعد عدة اجتماعات سرية بين وزراء خارجية مصر وبريطانيا وفرنسا والامين العام للامم المتحدة امكن الوصول الى اتفاق على ستة مبادىء تكون اساسا للمفاوضات لحل مشكلة القناة .

١٤ ـ بدأ مجلس الامن مناقشات علنية لمشروع انجلو فرنسي جديد يتضمن النقاط الستة التي اتفق عليها مضافا اليها طلب الموافقة على وضع القناة باشراف منظمةدولية.

١٥ ـ رفض مندوب مصر قبول ما اضافته الدول الغربية على مبادىء المفاوضات الستة. وقد صوت مجلس الامن على المشروع الغربي فقبله ورفضه الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا. واستعمل الاتحاد السوفياتي حق الفيتولنقض الاضافة التي زيدت على المبادىء الستة .

مطبعة « الشراع »
الحازمية ـ بيروت